التحقق من ثقافة ألدوان في جزيرة سُقطرى

عبدالرزاق المَعْمَري

ملخّص: يتركز هذا البحث في التحقق من ثقافة ألدوان في جزيرة سقطرى، وفي نتائجه توصّل إلى إن الأدوات المصنوعة من الأحجار المُدحرجة (Pebbles) التي نسبت إلى هذه الثقافة (اللوحة ٤، ٥: ٢)، تقع بين الشك واليقين، لبُعد أرخبيل سقطرى عن اليابسة، إضافة إلى عدم وجود الثدييات، ومصادر الغذاء النباتية، وعوامل أخرى. ومما يزيد الشك في انتمائها إلى ثقافة ألدوان، وجودها في الساحل الشمالي، وبالقرب من الميناء كذلك، إلى جانب نمط العيش البسيط في سقطرى، إضافة إلى سمات البِلى الموجود عليها، وعدم العثور على أدوات من النوع نفسه خارج هذا الساحل. ولكن على الرغم مما سلف ذكره، فإن هذا البحث أظهر دلائل أخرى مهمة، تشير إلى أن هذه الأدوات، قد تعود إلى ثقافة ألدوان، بصرف النظر عن عدم معرفتنا اليوم بطريقة وصول صانعها إلى سقطرى، ومصيره فيها، خاصة إذا تم العثور على أدوات من النوع نفسه، في الجزء الغربي من هذه الجزيرة، أو في جزر أخرى من جزر هذا الأرخبيل. حيث من المحتمل أن وصل إليها، في ظروف مواتية، لمرة واحدة، وانتهت حياته فيها بشكل كارثي، بسبب نقص الغذاء. أمَّا الأدوات المصنوعة من الصّوان (Flint) (اللوحة ٧– ٩)، التي نُسبت إلى هذه الثقافة، فهي من صنع الإنسان المعاصر، الذي دخل هذه الجزيرة في الفترة التاريخية.

كلمات مفتاحية: ألدوان، ثقافة ألدوان، أدوات حجرية، سقطرى، العصر الحجري، الجزيرة العربية، الصيد.

***Abstract*:** *The research discusses the Oldowan culture in Soqotra. It reviews all chances for Oldowan tools made of pebbles to have appeared and originated on the island (pl.4, 5: 2). This article presents a set of ideas applicable for both pros-and-cons, starting with the distance of the Archipelago from land (Africa and Arabia). Then, it addresses the absence of mammals and the lack of plant food sources. Oldowan sites are present only along the north coast including the main port of the island as well as Soqotra people's primitive life style. In addition, the patina on the pebble tools don't appear to be related to Oldowan period. This research sought to show some important directions and raise the point that the discovered artifacts might belong to the Oldowan culture, regardless of our lack in knowledge at the present time of how the owners of these tools arrived at Soqotra. To confirm that idea, we need to find pebbles in the western part of the island or in any other island of Soqotra's archipelago. In such a case, ancient migration might have happened only once and ended disastrously there. As for the finds of flint artifacts and their attribution to this culture (pl. 7-9), it is certain that these were made by contemporary people at a later historical period.*

يتمحور هذا البحث في التحقق من ثقافة ألدوان، في جزيرة سقطرى اليمنية (اللوحة ١، ٢)، التي تم اكتشافها عام ٢٠٠٨م، استناداً إلى الأدوات الحجرية، التي نُسبت إلى هذه الثقافة (اللوحة ٤–٩؛ الشكل١)، وإلى طبيعة مواقع هذه الأدوات (اللوحة ١٠–١٢)، التي تعتد كما قيل، بالمئات، إلى جانب الاستعانة بالمكونات الطبيعية الفريدة لهذه الجزيرة (اللوحة ١٣–٢١)، ونمط الحياة البسيط الذي استمر فيها إلى وقت قريب، وما تزال نماذج منه مستمرة إلى اليوم (اللوحة ٢٣–٢٧). وفي مستهل هذا التحقيق، يتقدم الباحث بالشكر والتقدير

اللوحة ١: أرخبيل سقطرى عند ملتقى البحر العربي بالمحيط الهندي.

اللوحة ٢: أرخبيل سقطرى يتألف من أربع جزر كبيرة نسبياً، أكبرها سقطرى، يليها عبدالكَوْري، ثم سَمْحَة، يليها دَرْسَة، إضافة إلى جزيرتين صغيرتين يُسميّا كعَال أو (بيض) فرعون، وأخرتين صغيرتين كذلك ملتصقتان بعضهما ببعض، يُسميًّا صابونية (Sabuniyah)، أو (صيال). ○: مديرية حَديبو (المركز الرئيس في سقطرى). ●: الأماكن التي وجدت فيها مواقع نُسبت إلى ثقافة ألدوان في سقطرى.

للجهة الداعمة لهذا البحث، وهي عمادة البحث العلمي، ممثلة بمركز البحوث في كلية السياحة والآثار في جامعة الملك سعود.

تتركز أقدم مواقع عصر ألدوان، في شرقي إفريقية (اللوحة ٣)، إذ وصل تأريخ بعضها إلى ٢,٦ مليون سنة من موقع غونا (Gona) في إثيوبيا (Braun 2008: 3, Semaw 2000:1198, Pangger et. al., 2002: 236). ويُعدُّ الإنسان الصانع لهذه الثقافة، هو الإنسان الماهر (Homo Habilis) (اللوحة ٢٢)، الذي وجدت بقاياه العظمية في عدد من هذه المواقع، ومنها موقع خانوق ألدواي في تنزانيا، وموقع كووبي فورا (Koobi fora) قرب بحيرة توركانا في كينيا. أمَّا ما تم العثور عليه خارج شرق إفريقية، وخارج القارة الإفريقية بشكل عام، فقليل حتى الآن، ويعود إلى تواريخ متأخرة، مقارنة بشرقي إفريقية، أقدمها في قارة آسيا، موقع دمينيسي (Dminisi) في تبليسي

اللوحة ٣: مناطق انتشار مواقع ألدوان القديمة شرقي إفريقية.

(Tbilisi) عاصمة جمهورية جورجيا في القوقاز، تأريخه المطلق ما بين ١,٧٨ إلى ١,٨٥ مليون سنة ق. ح (Ferring et. al., 2011).

وفي الجزيرة العربية سُجّلت عدد من هذه المواقع، هي: موقع الشويحطية شمالي الجزيرة العربية (Parr et. al., 1978, Whalen, et. al., 1986)، و١٦عشرَ موقعاً في وادي أم شاهار (Am Shahar)، بين محافظتي تَعِز ولحِج (Whalen, Schatte 1997) القريبتان من خليج عدن، وخمسة مواقع في الهضبة الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية (حضرموت) (Amirkhanov 2006)، وزهاء ٤٣ نقطة في منطقة الحُقف جنوب شرقي الجزيرة العربية (عُمان) (Whalen et. al., 2002, Whalen 2003, Whalen, Fritz, 2004). إضافة إلى ذلك، هناك موقعان، أحدهما في شِعيب دحضة في نجران ٢١٧-٦٣، والآخر في وادي تثليث، أعيدا إلى الثقافة نسعا، مع بعض المحاذير التي ذُكرت عليهما (Zarins et. al., 1981: 12- 13).

اكتشاف ثقافة ألدوان في جزيرة سُقطرى

عَملت، وما تزال تعمل، من وقت لآخر، كثير من البعثات الأثارية، والأنثروبولوجية... الخ، في جزيرة سقطرى، ولكن البعثة الروسية التي تعمل، هي الأخرى، في هذه الجزيرة، بدءاً بموسمها الأول نهاية عام ١٩٨٢م

وبداية عام ١٩٨٣م إلى ١٩٩٠م وبشكل متقطع من ١٩٩١م إلى اليوم، عثرت فيها مؤخراً، على أدوات حجرية، نسبتها إلى ثقافة ألدوان (Oldowan) (اللوحات ٤- ٩، الشكل ١). كان ذلك عندما استعانت في شهر أكتوبر من عام ٢٠٠٨م بمصورٍ من وكالة الشبكة الإعلامية الروسية (إتَارْ- تَاسْ)، (ف. أ. جُوكوف V. A. Zhukov)، لتصوير حفرية تعمل فيها، وما تزال، في منطقة السوق في مركز حديبو عاصمة سقطرى، تعود إلى ما قبل الإسلام. إذ قام الأخير، خلال فترة عمله، بجمع بعض الأحجار، التي كانت تُلفت انتباهه إليها في نفس المنطقة، علماً أن تعليمه الجامعي كان في مجال علم الآثار، وعند عودته إلى موسكو عرض هذه المواد على أمير خانوف المختص بالعصور الحجرية، والذي عمل في اليمن مدة طويلة.

وفجأةً وجدَ الأخير، أن هذه الأحجار، أدوات تعود

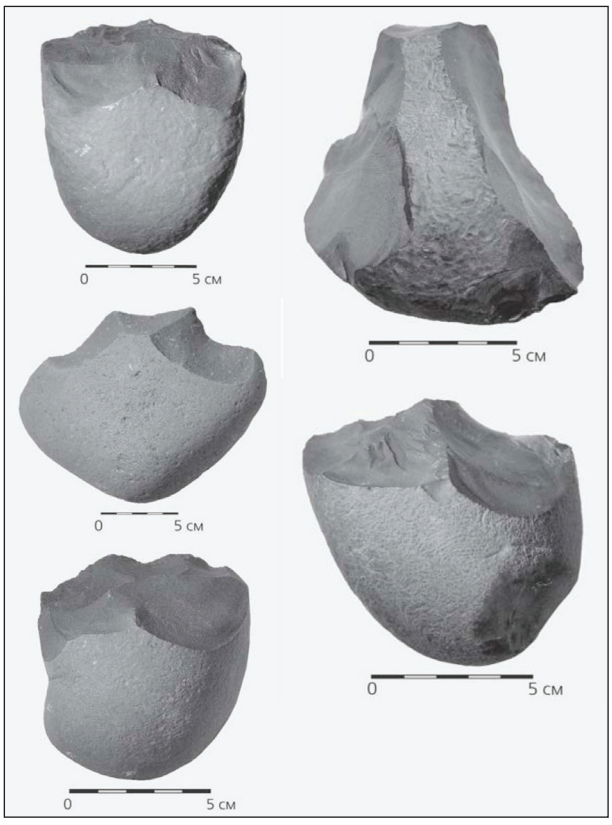

اللوحة ٤: معول (Pick) إضافة إلى أربعة مهاشم (Choppers) من سقطرى، أعيدت إلى ثقافة ألدوان، نقلا عن: (Amirkhanov et. al., 2009).

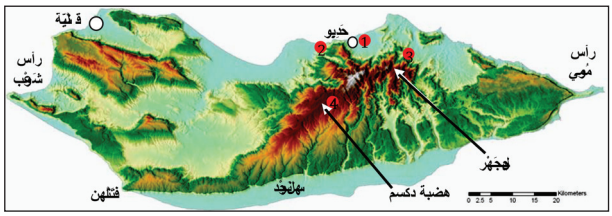

الخريطة ١: تضاريس سقطرى والمواقع التي أعيدت إلى ثقافة ألدوان: ١- حَجْرية، وحديبو، ودنجهن (في منخفض حديبو)، ٢- مواقع قع عيْهفَت في موري،٣- روكب ومواقع أخرى في الجهة الشرقية من الجزيرة ، ٤- وادي (Tharditror) في وسط الهضبة[1].

إلى ثقافة ألدوان، وعلى إثر ذلك أنضم في شهر فبراير عام ٢٠٠٩م إلى البعثة الروسية العاملة في سقطرى، وقام بتعزيز ما جمعه جوكوف بعدد آخر من هذه الأدوات (اللوحة ٤، الشكل ١). فقد قام أمير خانوف بجمع هذه الأدوات، من ضفاف ثلاثة أودية، قريبة بعضها من بعض، في المنطقة نفسها (اللوحة ٢)، هي: حَجْرية، أو (حَشْرَة)[1]، ودَنجِهن أو (دَنْغهن)، وموقع حَديبو (Amirkhanov et. al., 2009: 73) وفي الوقت نفسه، ذهب إلى مدينة قلنسية الواقعة في الجزء الغربي من هذه الجزيرة (الخريطة ١)، وإلى أماكن أخرى، للبحث عن مواقع من النوع نفسه، ولكن لم يتم العثور عليها في هذه المناطق، حسب إفادته (Amirkhanov et. al., 2009: 73).

إن إقرار أمير خانوف بوجود مواقع ثقافة ألدوان في سقطرى، شجع جوكوف، وأعضاء البعثة الروسية الآخرون، على البحث عن مواقع العصور الحجرية في هذه الجزيرة، ومنها المواقع التي وردت في تقرير هذه البعثة عام ٢٠٠٩م، وهي إضافة إلى ما سلف ذكره: وادي عَيْهَفت في منطقة موري غرب مدينة حديبو، إضافة إلى وادي (Wadi Tharditror) الواقع في وسط هضبة سقطرى، وجبل رَوْكَب (Raquf)[1] في الجهة الجنوبية الشرقية من مركز حَديبو (Sedov et. al., 2009, Zhukov 2010, 2014). إلى درجة أن جُوكوف حدد وظيفة هذه المواقع، وهي كما ذكر: مخيمات للصيد، طويل المدى في المواقع التي وجدت في منخفض حديبو، ومخيمات مؤقتة لمجموعة المواقع التي وجدت في وادي عَيْهَفت في موري، ومخيمات للصيد، طويلة المدى كذلك، للمواقع التي وجدت في مواقع روكب، ووادي (Wadi

اللوحة ٥: مصنوعات حجرية صنّفت مهاشم (Choppers) وأعيدت إلى ثقافة ألدوان من قبل جوكوف وآخرون، نقلاً عن: (Sedov et. al., 2009)، وهي من الشّق في قرية السوق مركز حديبو في سقطرى. فالأداة رقم٢ هي التي تُعد مهشم وقديمة في نظرنا.

(Sedov et. al., 2009) Tharditror) (الخريطة ١). علما أن الثدييات التي كان بإمكان صانع أدوات هذه الثقافة، أن يصطادها، غير موجودة أساساً في سقطرى، وبالتالي عن أي صيد يمكن أن يدور الحديث هنا؟

فيما يتعلق باستخدام هذا المفهوم المعبّر عن نمط العيش، قبل الشروع في مناقشة الأدوات الحجرية، فقد كان من المناسب أن يُستخدم له مفهوم آخر، في ظل الوضع الخاص بجزيرة سقطرى، مثل مفهوم الجمع، بدلا عن مفهوم الصيد (مخيم جَمع، بدلا عن مخيم صيد) مع أن مفهوم الجمع بالمفهوم المتعارف عليه غير موجود هو الآخر؛ لأن الصيد غير موجود بشكل عام في هذه الجزيرة. لقد حدَّد جُوكوف صانع هذه الثقافة، خاصة تلك الأدوات الصوانية التي جمعها هو وآخرون، بالإنسان المنتصب القامة (Homo Erectus) Zhukov, (2010:1) (اللوحة ٢٢)، وهو الإنسان الذي تُعاد إليه عادة ثقافة ألدوان، ذات التواريخ المتأخرة بشكل عام، كالتأريخ النسبي لهذه الأدوات، الذي لا يقل، كما ذكر، عن ١,٤ مليون سنة (Amirkhanov et. al., 2009: 74). هذا التأريخ يُعدُّ من التواريخ الخاصة، بمرحلة الانتقال

اللوحة ٦: ١- شظية (Flake) من دنْغهن، ٢- مهشم من عَيْهَفت في موري- مركز حديبو سقطرى، أعيدتا إلى ألدوان، حسب تصنيف جوكوف وآخرون، نقلا عن: (Sedov et. al., 2009). مع أنهما حديثتان، والصّنْعة ٢ أحدث من١.

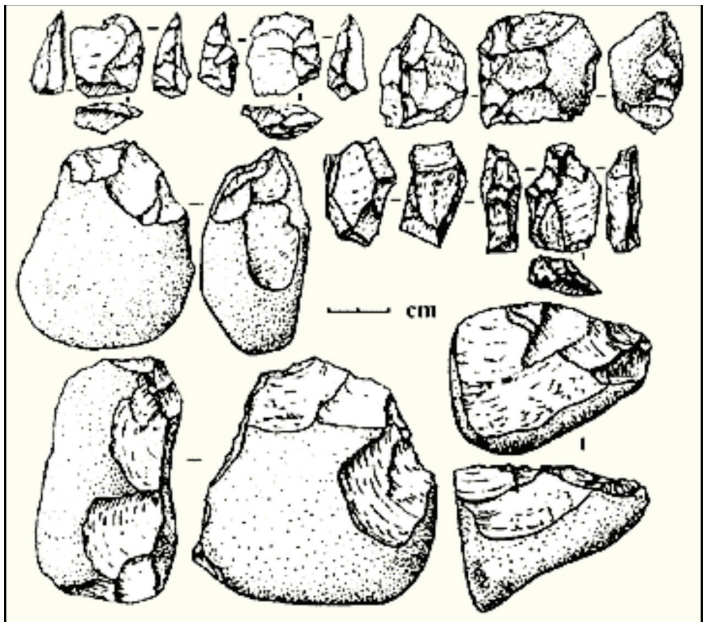

الشكل١: أدوات حجرية من سُقطرى بينها مهاشم (Choppers) أعيدت إلى ثقافة ألدوان نقلاً عن: (Amirkhanov et. al., 2009). http://www.friendsofsoqotra.org/Activities/pdfs/Tayf%207%20English%20FINAL.pdf

اللوحة ٧: مكشطان (Scrapers) من وادي (Tharditror) في سقطرى، أعيدا إلى ثقافة الدوان، حسب تصنيف جوكوف وآخرون، نقلاً عن: (Sedov et. al., 2009)، **مع أنهما يعودان إلى المرحلة التاريخية، والتصنيف قد لا يكون دقيقا.**

من عصر ألدوان، إلى العصر الأشولي، أو المرحلة التي تسمى بألدوان المتطور (Developed Oldowan)، الذي قسم إلى ثلاث مراحل: (أ، ب، ج) (Leakey 1971, Clark 1970, Semaw 2009). أضف إلى ذلك أن جوكوف قدّم تصنيفا لأغلب هذه المصنوعات، أن لم يكن بأكملها، على أنها مهاشم، مع أنها ليست على ذلك النحو، والأكثر من ذلك، أنها نسبت إلى ثقافة ألدوان، وهي لا علاقة لها بهذه الثقافة، خاصة مصنوعة الصوان (اللوحات ٧-٩). حتى الأدوات المصنوعة من صخور السَلِيسيفايد سَلِيْتْ أو (السليت المتحول) (silicified slate / or Slate flint)[٦] (اللوحتان ٥: ١؛ ٦: ١)، ومن الأحجار المُدحرجة (المتدحرجة) (Pebbles)[٧] (اللوحتان ٥: ٣؛ ٦: ٢)، التي تبدو من خلال أنواعها، والخام الذي صُنعت منه أنها قديمة، من المحتمل أن لا علاقة لها هي الأخرى، بهذه الثقافة، باستثناء أداة واحدة (اللوحة ٥: ٢)، تبدو أنها أقدم من جميع المصنوعات الأخرى، التي وجدت في هذه الجزيرة. هذه المواضيع جميعها سيتم مناقشتها بصورة أكثر تفصيلاً، مع التدليل عليها خلال التحقيق الخاص بهذا البحث.

أمَّا النماذج التي قَّدمها أمير خانوف، وعددها خمس أدوات، للاستشهاد بها على وجود ثقافة ألدوان في سقطرى، فقد تم اختيارها بعناية (اللوحة ٤)، ولكن لم تقدّم معها تفاصيل أخرى، مثل: عدد هذا النوع من الأدوات في كل موقع على حدة، وأنواع المصنوعات الأخرى المصاحبة، ونسبها، والخامات التي جُهّزت منه هذه المصنوعات... الخ. حتى إن هذه النماذج المُدحرجة نفسها (اللوحة ٤)، لم يُذكر، هل هي من موقع واحد أو أكثر؟ مع أنه من المرجح أن تكون من موقع حجرية[١]، وهو ما سيتم التطرق إليه في الفقرة الخاصة بأنواع الأدوات في هذا البحث. فقد اكتفى أمير خانوف بالقول: «إن عدد مواقع هذه الثقافة، تعتد بالعشرات، وعلى الأرجح، بالمئات»، وأن المهاشم، والمعاول، هي السائدة بين الأدوات الأخرى في هذه المواقع (Amirkhanov et. al., 2009: 73)، ومع ذلك لم يتم دراسة أي موقع منها، بصورة مفصلة، حتى الآن.

نَقل الاكتشاف إلى الوسط العلمي

بدأت أنباء هذا الاكتشاف تظهر على مواقع

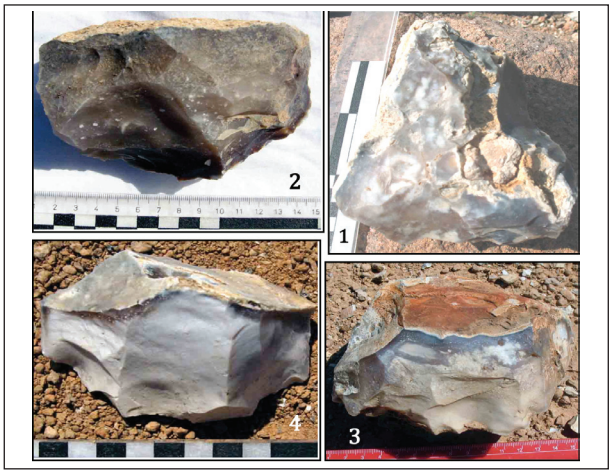

اللوحة ٨: أدوات صوانية من سُقطرى صُنّفها جوكوف وأخرون مهاشم (Choppers) وأعادوها إلى ثقافة ألدوان، نقلا عن: (Sedov et. al., 2009)، وهي، ١- ٣- من الشق في قرية السوق في حديبو: ٤- من روكب، من ٥- ٧ من وادي (Tharditror). مع أن هذا التصنيف غير دقيق، وجميعها تعود إلى الفترة التاريخية، وبعضها قد يعود إلى ما قبل الإسلام.

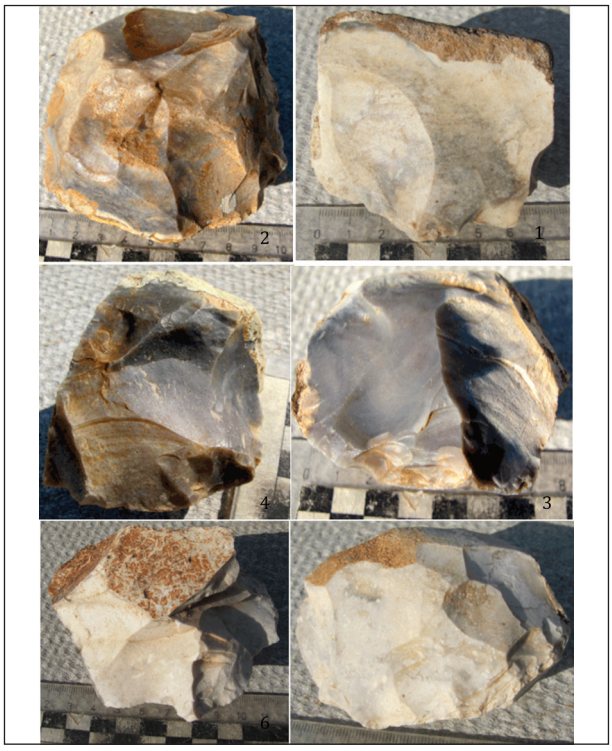

اللوحة ٩: أدوات حجرية من جزيرة سقطرى، صنفها جوكوف مهاشم (Choppers) ، وأعادها إلى ثقافة ألدوان، وهي حسب تصنيفه: ١، ٦: مهشمان من جهة واحدة، ٢- ٣- ٥- مهاشم من الجهتين. ١-٤من روكب، ٥، ٦ من محطة حَمِر مَلْبت في الجهة الشمالية الشرقية من جزيرة سقطرى، نقلاً عن: (Zhukov 2010). فهذه الأدوات من حيث التصنيف ليست مهاشم، وتعود إلى الإنسان المعاصر الذي دخل هذه الجزيرة في الفترة التاريخية، وبعضها قد تعود إلى ما قبل الإسلام.

الشبكة العنكبوتية في عام ٢٠٠٩م، تبعها مقالتان خبريتان في العام نفسه، أحدهما في مجلة العلوم، والأخرى في مجلة الطبيعة الروسيّتان (Amirkhanov et. al., 2009)، وقدِّمت في المقال الأخير معلومات عن هذا الاكتشاف أكثر مما قُدِّمت في المقالات الأخرى، أو في تلك المداخلة الموجزة، المقدّمة في مؤتمر في القوقاز (Amirkhanov 2009)[٢] عن الهجرة البشرية المبكرة، وصارت معلومات هذا الاكتشاف موجودة في عدد من مواقع الشبكة العنكبوتية، وموسوعاتها، وتحدثت عنه بعض الصحف وقنوات التَّلفزة. وعلى إثر هذه التغطية الواسعة، توافدت إلى سقطرى بعثات آثارية أوروبية، ووصلها باحثون يحضّرون رسائل الدكتوراه، وقد وصلتني شخصياً من بعضهم رسائل تدعوني للمشاركة معهم في هذا المجال. ولكن على الرغم من هذا التوافد إلى سقطرى، للبحث عن مواقع ثقافة ألدوان ودراستها، لم تطرأ إضافات جوهرية جديدة، على ما أوردته البعثة الروسية في هذا الموضوع، وهذا قد يشير بدوره إلى عدم وجود آفاق واسعة، ومشجعة للبحث في الموضوع نفسه، حتى إن البعثة الروسية نفسها، لم تنشر أي دراسة تفصيلة عن هذا الاكتشاف، باستثناء تلك الأنباء والتقارير الأولية.

أسباب عدم البحث عن العصور الحجرية في جزيرة سقطرى قبل هذا الاكتشاف

كان المتخصصون في العصور الحجرية، سواء الذين

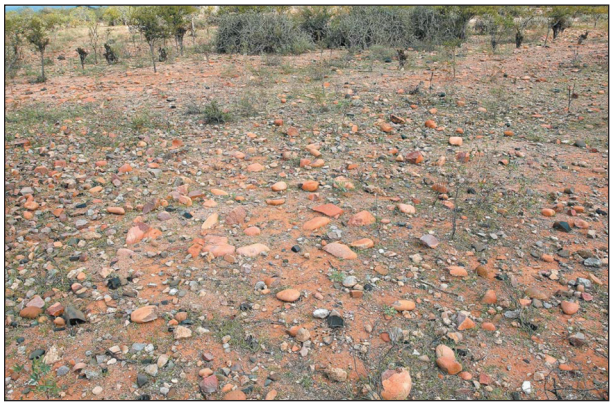

اللوحة ١٠: موقع من المواقع التي أعيدت إلى ثقافة ألدوان في جزيرة سُقطرى، في منخفض حديبو، نقلاً عن: (Amirkhanov et. al., 2009).

اللوحة ١١: أساس لمنزل سيُبنى في هذا المكان وجدت فيه أدوات أعيدت إلى ثقافة ألدوان في سقطرى، نقلاً عن: (Amirkhanov et. al., 2009).

اللوحة ١٢: مجس اختباري في موقع من الموقع التي أعيد إلى ثقافة ألدوان في سُقطرى، عمق الأدوات التي وجدت فيه لا يزيد عن ٣٥سم، إضافة إلى وجود أكوام من الأحجار المُدحرجة، نقلا عن: (Amirkhanov et. al., 2009).

اللوحة ١٣: الانتشار الواسع للأحجار المُدحْرجة (الصماء) في سواحل سقطرى التي صُنعت منها الأدوات التي أعيدت إلى ثقافة ألدوان.

زاروا جزيرة سقطرى، أم الذين لم يزوروها، بما في ذلك أمير خانوف، الذي عمل في دراسة العصور الحجرية في اليمن فترة طويلة من الزمن، إضافة إلى الآثاريين الروسيِّين الآخرين، العاملين في عين المكان منذ عام ١٩٨٢م إلى اليوم، مقتنعين أن إنسان تلك العصور، وبالأخص العصر الحجري القديم الأسفل، لم يصل إلى جزيرة سقطرى، على اعتبار أنها كانت جزيرة كما هي عليه الآن (اللوحتان ١، ٢)، قبل ظهور الإنسان بملايين السنين. فقد ذكر أمير خانوف خلال حديثه عن اكتشاف ثقافة ألدوان في سقطرى، أنه كان من الممكن التصور نظرياً، أن الإنسان دخل هذه الجزيرة في العصر الحجري الحديث ما بين ٥ – ٨ ألف سنة من خلال قوارب بدائية، ولكن التصور عن دخوله إليها، قبل هذا التاريخ، كان مستبعداً عند الآثارين بشكل تام (Amirkhanov et. al., 2009: 71). كما أن كاتب هذا البحث شاهد عام ٢٠٠٣م، خلال عمله لأيام معدودة على رأس فريق وطني لتسجيل المعالم الأثرية للمرحلة التاريخية في هذه الجزيرة (المعمري ٢٠٠٤أ، ب)، الأحجار المدحرجة (اللوحة ١٣)، بما في ذلك أكوام صغيرة من هذه الأحجار نفسها، الأكبر حجما منها نسبياً، في مركز حديبو (اللوحتان ١٠-١٢)، لكنه لم يقم بفحصها، للسبب سالف الذكر، وحرصاً على الوقت المخصص لمهمة علمية أخرى، على أمل العودة إليها، وفق برنامج خاص لدراسة العصور الحجرية. يضاف إلى ذلك أنه شاهد، أدوات أخرى من الصوان، في جبل روكَب، في الجزء الشرقي من الجزيرة، وفي الهضبة الوسطى منها، ولكن تبين له أنها حديثة، تعود إلى الفترة التاريخية.

الخصائص الطبيعية لجزيرة سقطرى وعلاقتها باكتشاف ثقافة ألدوان

لا يمكن فهم هذا الاكتشاف في سقطرى، دون معرفة جوانب من الخصائص الطبيعية لهذه الجزيرة (الخريطة ١، اللوحات ١، ٢، ١٣-٢١)، لما لهذا الاكتشاف من ارتباط وثيق بهذه الخصائص، وسيتم إيجازها بما يلي:

أ- الموقع الجغرافي لجزيرة سُقطرى

تقع جزيرة سقطرى اليمنية عند ملتقى البحر

اللوحة ١٤- حيوان الرتم (قطة الزباد) في جزيرة سُقطرى، يعتقد أن الإنسان المعاصر أدخله إليها، وهو شبيه من حيث الحجم بالرتم الأفريقي.

اللوحة ١٥- أبقار سُقطرى من فصيلة الجاموس، فهي من الحيوانات الأليفة التي أدخلها الإنسان المعاصر إلى سقطرى، ولكن لم يتم البحث في أصولها، علما أن الجاموس كان موجوداً في الجزيرة العربية قبل وجود الأبقار المعاصرة (فقد كانت موجودة في الفن الصخري في الجزيرة العربية إلى نحو نهاية العصر البرونزي).

اللوحة ١٦- المياه العذبة في الساحل الشمالي في جزيرة سقطرى، والنخيل التي أدخلها الإنسان المعاصر إلى سقطرى.

العربي بالمحيط الهندي (اللوحة ١)، وبنهاية مياهها الإقليمية، تنتهي حدود الوطن العربي من اتجاه الشرق. ويطلق على هذه الجزيرة وملحقاتها، أرخبيل سقطرى. وهو يتألف من أربع جزر كبيرة: أكبرها سقطرى، تليها عبدالكوري[٣]، ثم جزيرتا الأخوين: سَمْحَة، ودَرْسَة، إضافة إلى أربع جزر أخرى صغيرة (اللوحة ٢). ولهذه الجزر علاقة هي الأخرى بهذا الاكتشاف، إن كان صانع ثقافة ألدوان، قد وصل إلى جزيرة سقطرى (اللوحة ٢١). ويمتد هذا الأرخبيل من موقعه في المحيط الهندي، نحو محافظتي المهرة، وحضرموت اليمنيتين، كأنه يشير بذلك الامتداد إلى ارتباطه الجيولوجي بالجزيرة العربية، الذي كان عليه قبل انفصاله عنها بملايين السنين (اللوحة ٢١). وتُعد سقطرى من أكبر جزر الوطن العربي مساحة، إذ تبلغ مساحتها زهاء (٤٤٢٢) كم٢ من واقع (Google)، مع أن هذه المساحة ترد في الوثائق الرسمية والموسعات تارة (٣٧٩٦) كم٢، وتارة (٣٦٨٢) كم٢، وتارة ثالثة (٣٦٥٠) كم٢.

إن هذا الموقع الجغرافي لجزيرة سقطرى، إضافة إلى جيولوجيتها التي سيدور الحديث عنها في هذا البحث، يطرحان السؤال الأول، حول كيفية وصول صانع أدوات ألدوان إلى هذه الجزيرة، مع أن العوائق المائية، التي انتقل عبرها الإنسان القديم، والظروف البيئية، والتراكيب الجيولوجية ذات الصلة، إضافة إلى قدرات الإنسان في تجاوز هذه العوائق المائية، في تلك العصور، يصعب التكهن بتفاصيلها، وما تزال أغلبها قيد الدراسة.

ب- تضاريس جزيرة سُقطرى

تنقسم تضاريس جزيرة سقطرى إلى: السهول، والسواحل، والهضاب، والمرتفعات (Mies and Zimmer 1993)، ويُعدُّ السهل الشمالي أوسع هذه السهول نسبياً، وبخاصة في مركز حَديبو، إذ يبلغ أقصى عرض له هنا نحو ٨كم. وهو أقل عرضة من غيره للأعاصير، خاصة الجزء الواقع منه في منطقة حَدَيبو، بسبب جبل حَجْهَر المطل عليه من الشرق، وهضبة دِكسم من

اللوحة ١٧: بعض الأحياء المحلية البرية والمائية الموجودة في أرخبيل سُقطرى ذات الصلة المحتملة بحياة صانع ثقافة ألدوان إن كان قد وصل إلى جزيرة سقطرى.

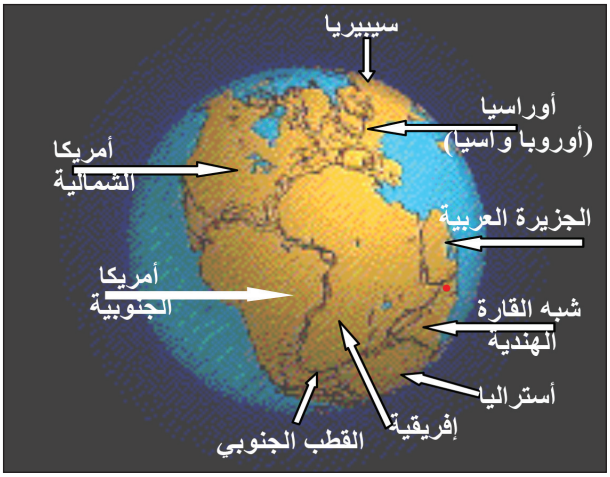

اللوحة ١٨- أم القارات (Pangaea)، أو (Super continent) المكونة من جُندوانا ولوراسيا قبل تصدّعهما إلى القارات المعاصرة، وموقع الجزيرة العربية وأرخبيل سقطرى في جُندوانا قبل انفصالهما عن إفريقية.

اللوحة ١٩: قارات العالم المعاصرة وموقع أرخبيل سقطرى والجزيرة العربية.

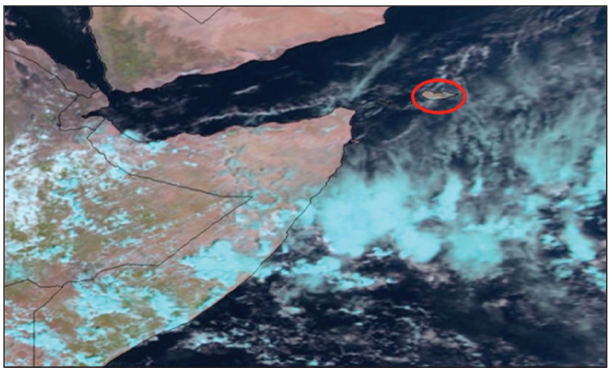

اللوحة ٢٠: الأعاصير الموسمية التي تجعل الدخول إلى سقطرى والخروج منها صعباً، بسبب المنخفض الجوي في المحيط الهندي وبحر العرب.

الجنوب (الخريطة ١)، وفيه توجد مصادر للمياه العذبة (اللوحة ١٦)، وميناء هذه الجزيرة. وغالباً يصل القادم إلى سقطرى، بوسائل النقل البحرية من هذا الاتجاه. أمَّا السهول الجنوبية، فتمتد من رأس مومي في شرق الجزيرة، إلى رأس شوعب في غربها (الخريطة ١)، وهي معرضة للأعاصير الشديدة سالفة الوصف، لكونها مواجهة للمحيط الهندي وبحر العرب (اللوحة ٢٠).

إن ارتباط الأدوات الحجرية، المتمثلة بالمهاشم (اللوحة ٤)، التي نُسبت إلى ثقافة ألدوان، في الساحل الشمالي من جزيرة سقطرى، وبالقرب من ميناء هذه الجزيرة كذلك، دون وجودها بالنوع بنفسه، في أماكن أخرى منها، وبخاصة في الجزء الغربي، أو الجنوب الغربي منها، يطرح السؤال الثاني، المتعلق بمصير هذا الاكتشاف، لأن هذا الساحل، يُعدُّ مكاناً مناسبا لحياة الإنسان بشكل عام، بسبب مقومات طبيعية سالفة الذكر.

ج- مناخ جزيرة سقطرى

يُعد مُناخ جزيرة سقطرى، شبه استوائي: حار صيفاً، ومعتدل شتاء، والأمطار فيها قليلة (Cheung, DeVantier 2006)، وتتعرض هذه الجزيرة لأعاصير شديدة، تبدأ بمنتصف شهر أغسطس/آب، إلى نهاية ديسمبر/ كانون الأول من كل عام، بسبب الرياح الموسمية الشديدة التي تهب عليها من المحيط الهندي وبحر العرب (اللوحة ٢٠)، والتي تجعل الدخول إليها، أو الخروج منها صعبا

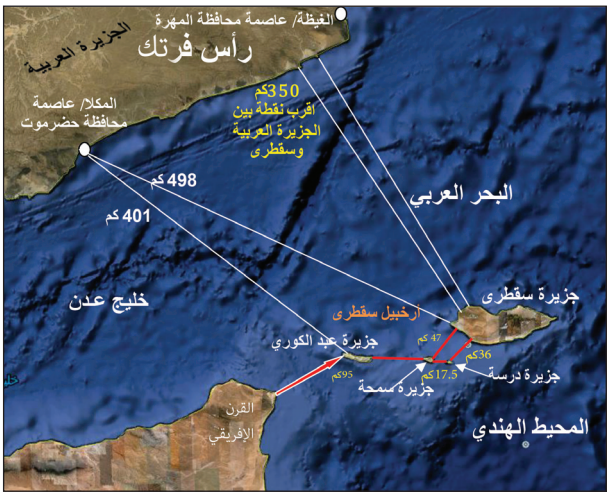

اللوحة ٢١: المسافات الحالية بين جزر أرخبيل سقطرى، من جهة، وبين هذا الأرخبيل والقرن الإفريقي والجزيرة العربية من جهة أخرى، والطريق المحتمل التي سلكها صانع ثقافة ألدوان إن كان قد وصل إلى هذا الارخبيل.

للغاية. ولهذه العواصف علاقة، محتملة، بوجود مواقع هذا الاكتشاف في الساحل الشمالي في مركز حديبو، باعتباره محميا نسبياً، بالمناطق الجبلية، سالفة الذكر، إضافة إلى توافر بعض مصادر الغذاء، ولكن يفترض أن تكون هناك مواقع أخرى من النوع نفسه، موجودة في مناطق أخرى من هذه الجزيرة، خاصة في الجزء الغربي منها.

د- النبات في جزيرة سقطرى

تُعدُّ جزيرة سقطرى محمية عالمية، لبيئتها النادرة، وبخاصة عالم النبات، ففيها يوجد نحو ٨٥٠-٩٠٠ نوع، منها ٢٧٠-٣٠٠ نوع لا تنمو إلاَ فيها (Brown and Mies 2012)، ومن أشهرها شجرة دم الأخوين (Miller, Morris M 2004). وتكثر في هذه الجزيرة أشجار اللبان، والنباتات العطرية، والطِّبية، والتوابل... الخ (Miller 1996, Mies and Zimmer 1993). وتتوزع هذه النباتات بحسب تضاريس الجزيرة سالفة الذكر (الخريطة ١). ولكن على الرغم من غناء هذه الجزيرة بعالم النبات، وتنوعه (Bramwell, Caujapé-Castells 2011, Brown and Mies 2012)، فإنها خالية من النباتات الطبيعية، التي يمكن أن يقتات بها الإنسان، بما في ذلك الفاكهة، وهذا عامل أخر يحد من وجود وسكنى الإنسان.

هـ- عالم الحيوان في جزيرة سقطرى

لا توجد في جزيرة سقطرى الثدييات البرية، باستثناء طائر الخفاش، وقطة الزباد (الرِّتم) (اللوحة ١٤) التي أدخلها الإنسان المعاصر، إلى هذه الجزيرة، كما يعتقد، مع باقي الحيوانات الأخرى الأليفة الموجودة فيها حالياً، وهي: الجمال، والأبقار من نوع الجاموس (اللوحة ١٥)، والأغنام والحمير. وتُعدُّ قطة الزباد الحيوان الوحيد المتوحش، الذي يُهدد صغار الضأن والغنم في هذه الجزيرة، وتشكل مصدر الزباد الطبيعي هنا[٥]، حتى الكلب الذي يُعد مصاحباً للإنسان، غير موجود في هذه الجزيرة، إضافة إلى أن الحيوانات البرية الأخرى غير الثدييات قليلة فيها، بما في ذلك الفطر (اللوحة ١٧: ٦). فالحيوانات البرية المحلية، هي الزواحف: السحالي (Lizards) (اللوحة ١٧: ٤، ٥) (Van Damme & Banfield 2013)، والثعابين التي لا يوجد فيها مادة سامة، وبعض الكائنات الأخرى الصغيرة. وبالمقابل نجد أن جزيرة سقطرى غنية بالكائنات البحرية، ومنها السلاحف (اللوحة ١٧: ٣؛ ٢٣)، التي قد يكون لها علاقة بمصادر الغذاء في سقطرى، إلى جانب وجود بعض سرطانات المياه العذبة (اللوحة ١٧: ٢) (Cumberlidge and Wranikj 2002). إضافة إلى ذلك، توجد في هذه الجزيرة العديد من الطيور، ذات القدرة على الطيران لمسافات طويلة، خاصة المهاجرة.

إن معرفة عالم النبات والحيوان تساعد على معرفة مصادر غذاء الإنسان، وبالتالي فإن عدم وجود الثدييات في جزيرة سقطرى، إلى جانب عدم وجود النبات التي يمكن أن يقتات به الإنسان، ومنها الثمار والفاكهة، يطرح السؤال الثالث المتعلق بمصير هذه الاكتشاف، الذي أعيدت بموجبه تلك الأدوات الحجرية إلى ثقافة ألدوان.

و- جيولوجية أرخبيل سُقطرى وظهوره في المحيط الهندي وعلاقتهما بهجرة الإنسان إلى هذا الأرخبيل

من الثابت في الدراسات الجيولوجية، أن أرخبيل سقطرى، هو جزء من قارة جُندوانا (Gondwana)، التي كانت أكبر القارتين القديمتين (اللوحة ١٨)، قبل تصدعهما إلى القارات المعاصرة (اللوحة ١٩). وكانت

جُندوانا تضم: إلى جانب إفريقية، وأمريكا الجنوبية، وشبه القارة الهندية... الخ، الجزيرة العربية، وأرخبيل سقطرى (Schlich 1982). وقد أخذت جندوانا، وهي القارة الجنوبية، بالتصدع منذ زمن الحياة الوسطى (Mesozoic)، خاصة في العصر الجوراسي (Jurassic) (Hall 2012)، الذي يؤرخ: (٢١٥-١٤٥) مليون سنة، والطباشيري (Cretaceous)، الذي يؤرخ: (١٤٥-٦٥) مليون سنة، واستمرت عملية التصدع في زمن الحياة الحديثة (Cenozoic) التي تؤرخ: (٦٥ - اليوم)، وأحدثها في عصر الميوسين (Miocene)، الذي يؤرخ: (٢٥-٥) مليون سنة، وفيه وقعت أحداث كبيرة ممهدة لظهور الإنسان نفسه[٤].

يُربط عادة انفصال أرخبيل سقطرى بتشكل خليج عدن، ولكن لا توجد نظرة موحدة حول تأريخ انفصال هذا الأرخبيل، ولا عن تشكل خليج عدن، فبعض الجيولوجيين، والدارسين لطبيعته الجغرافية، والجيومورفولوجية (Beydun, Bichon 1970, Lukashov 2008)، يعتقدون أن انفصال أرخبيل سقطرى، حَدَث عن الجزيرة العربية، في نهاية الحقبة الثلاثية (Tertiary period)، في حوالي ١٥ مليون سنة من عصر الميوسين. فيما انفصلت جزر هذا الأرخبيل عن بعضها بعضاً ما بين حوالي ٨-٦ مليون سنة، بعد أن كانت كتلة واحدة، ومتقاربة من بعضها، وعلى مقربة أكثر من شرق إفريقية، مقارنة بما هي عليه اليوم. ويرى آخرون أن هذا الانفصال حدث خلال تشكل خليج عدن، في حوالي ١٧ مليون سنة (Bonatti et. al., 2015). وهناك من يرى أن تشكل خليج عدن، تم ما بين ٢٠-١٧ مليون سنة (Culek 2013)، في الوقت الذي يعتقد فريق آخر، أن هذا التشكل، حدث مابين ٣٠ -١٧ مليون سنة (Girdler and Styles 1978)، أمَّا بعض دارسي سرطان المياه العذبة (Apel and Brandis 2000)، والنبات، فيعيدون انفصال أرخبيل سقطرى، إلى العصور المبكرة من الحقبة الثلاثية، ومنهم من يعيدها إلى أقدم من ذلك (Mies 1998).

إن انفصال أرخبيل سقطرى عن الجزيرة العربية في الميوسين، على الرغم من أنه صادر عن جهات متخصصة، قد لا يتوافق مع عالم الحيوان الموجود في جزيرة سقطرى، هذا إذ لم يُقدّم تفسير علمي مقبول، لعدم وجود الثدييات فيها. إذ يفترض أن يكون عالم الحيوان مشابهاً، أو قريبا مما هو موجود في الأقاليم المجاورة، التي كانت على صلة بهذا الأرخبيل، قبل انفصاله عنها، مثل جزر المحيط الهندي الأخرى الكبيرة، أو الجزيرة العربية... الخ. ويرى كثير من الجيولوجيين أن الجزيرة العربية انفصلت، هي الأخرى، عن إفريقية (عن الدرع النوبي)، من خلال تشكل أخدود البحر الأحمر، بصورته النهائية في نهاية الحقبة الجيولوجية الثلاثية (Powers et. al., 1985: D5)، وذلك من حوالي ٢٠ مليون سنة في عصر الميوسين، بعد أن تدفقت إليه مياه المحيط الهندي عبر خليج عدن. هذا المحيط الذي ظهر فيه أرخبيل سقطرى، بدأ بالتشكل من حوالي ١٥٠ مليون سنة في العصر الجوراسي، إلى أن أخذ شكله المعاصر في زهاء ٣٦ مليون سنة (Hall 2012)، وأصبح برزخاً يفصل شبه القارة الهندية عن إفريقية والجزيرة العربية. أمَّا بدايات انكسار أخدود البحر الأحمر، فيعيدها بعض الباحثين إلى نهاية عصر الإيوسين (Eocene)، الذي يؤرخ: (٥٥-٣٨) مليون سنة، وبخاصة منذ حوالي ٣٠ مليون سنة من عصر الأوليجوسين (Oligocene) (Rasul et. al., 2015)، الذي يؤرخ: (٣٨-٢٥) مليون سنة. هذا الانكسار كان له أثر كبير على ظهور الإنسان في شرق إفريقية، على الأقل من خلال حرق الغابات الكثيفة، التي كانت امتدادا للأدغال الأفريقية، ثم تحولها بعد ذلك، إلى أرض سهلية، تسودها حشائش السافانا والشجيرات المتباعدة... الخ.

إن الخصائص الجيولوجية لأرخبيل سقطرى، إضافة إلى موقعه الجغرافي، وزمن ظهوره في المحيط، يطرحان السؤال الأول نفسه سالف الذكر: كيف وصل صانع هذه الأدوات الألدوانية إلى سقطرى؟، في ظل وجود هذا العائق المائي الكبير بينه، وبين شرقي إفريقية، والجزيرة العربية، قبل ظهور الإنسان بملايين السنين، على الأقل كما يشاهد اليوم. فالاستيطان المعاصر لهذه الجزيرة، يرجّح أن بدايته تعود إلى نهاية الألف الثالث، وبداية الألف الثاني ق. م، استنادا إلى بعض الشواهد الأثرية، ومنها بعض المنشآت الشبيهة

بمنشآت العصر البرونزي، مع أنه لا يوجد حتى الآن تأريخ مطلق يؤكد هذا الاعتقاد، فيما يرى آخرون من العاملين في هذه الجزيرة، أن تلك البداية، قد تعود إلى زهاء النصف الثاني من الألف الأول ق. م (Sedov 2008).

غياب الثدييات في أرخبيل سقطرى وعلاقتها بزمن ظهور هذا الأرخبيل وهجرة الإنسان المبكرة إليه

عُرف أن الثدييات انتشرت بشكل واسع في الباليوجين (Paleogen) الذي يؤرخ: (٦٥- ٢٥) مليون سنة من الحقبة الثلاثية، كان ذلك بعد أن تهيأت لها الظروف البيئية المناسبة، خاصة بعد انقراض الزواحف العملاقة في العصر الطباشيري، الذي يُعد العصر الأخير من زمن الحياة الوسطى (Mesozoic). وبناءً على هذا الانتشار الواسع للثدييات، في ظل هذه البيئة الجديدة في زمن الباليوجين، ظهرت الثدييات الكبيرة الحجم، كالفيلة القديمة (المستدون)، والأيائل الضخمة... الخ في زمن النيوجين (Neogene) الذي يؤرخ: (٢٥ – ٢) مليون سنة، خاصة في عصر الميوسين (Kem 2005, Agustí and Anton 2002).

بينما ظهور الإنسان يعود إلى نهاية عصر البليوسين (Pliocene)، الذي يؤرخ: (٥- ٢) مليون سنة، استناداً إلى القرائن الأثرية في عدد من المواقع شرقي إفريقية (اللوحة ٣)، مثل موقع خانوق ألدواي في تنزانيا، و(كووبي فورا) قرب بحيرة توركانا في كينيا، وموقع (غُونا) في منطقة حَدَار، أو (حَضَر) في إثيوبيا (اللوحة ٣) الذي يعود إلى (٢,٦) مليون سنة (Braun 2008, Panger et. al., 2002)، بل وقد يرجع إلى ٢,٨ مليون سنة بحسب المعطيات الحديثة من منطقة عَفار (Villmoare et. al. 2015). هذا العصر الذي ظهر فيه الإنسان، يُعد العصر الأخير في الحقبة الثلاثية، وبداية الرباعية، وهما الحقبتان المكونتان لزمن الحياة الحديثة (Cenozoic)، التي تشكلت خلالها المعالم الرئيسة الحالية لوجه الأرض، بما في ذلك عالمها النباتي، والحيواني، خاصة منذ عصر الميوسين، واستكماله في بداية الرباعية، وقد شمل ذلك، ظهور مقدمات للإنسان، بدءاً بعصر الميوسين، ثم ظهور الإنسان نفسه في حوالي نهاية عصر البليوسين.

إن عدم العثور على الثدييات في أرخبيل سُقطرى بوجه عام (Bramwell 2011: 201)، قد يُفسّر بأربعة احتمالات: الاحتمال الأول، هو أن انفصال هذا الأرخبيل، حدث قبل الانتشار الواسع للثدييات، أي: قبل دخول الحقبة الجيولوجية الثلاثية، أو في الجزء المبكر منها، وليس في نهايتها، وفي هذه الحالة، فإن هذا الأرخبيل انفصل عن الجزيرة العربية، قبل انفصال الجزيرة العربية نفسها عن قارة جُندوانا، وظل محاطاً بالعائق المائي بعد انفصاله، وبالتالي فإن الثدييات التي وصلت مرتبة راقية في تطورها في كل من إفريقية، وشبه القارة الهندية، والجزيرة العربية، في الحقبة الثلاثية، لم تستطع الوصول إلى نفس المرتبة في جزيرة سقطرى، بسبب المساحة المحصورة لهذه الجزيرة، وبيئتها الخاصة. أو أن الثدييات نفسها الراقية، لم تكن موجودة في أرخبيل سقطرى في الأساس، منذ البداية، مع أن هذا الاحتمال الأخير لا يدعمه وجود الثدييات في شبه القارة الهندية، التي انفصلت خلال تشكل المحيط الهندي، وقبل انفصال أرخبيل سقطرى كما يرجّح.

والاحتمال الثاني، هو إذا سُلِّم بوجهة نظر الدارسين لجيولوجية سُقطرى، أن هذا الأرخبيل ظهر في الميوسين من الحقبة الثلاثية، أي بعد الانتشار الواسع للثدييات، فإن هذه الكائنات لم تستطع المحافظة على بقائها، بسب الظروف الطبيعية الخاصة بأرخبيل سقطرى، خاصة المساحة الصغيرة لجزيرة سقطرى، كما سلف الذكر، ما أدى ذلك إلى انقراض هذه الكائنات، بعد أن كانت موجودة في هذا الأرخبيل. والاحتمال الثالث، هو وجود كوارث طبيعية قديمة، غير معروفة، أدت إلى زوال هذه الكائنات من الأرخبيل المذكور. أمَّا الاحتمال الرابع والأخير، فهو أن مياه المحيط الهندي، والبحر العربي، طغت على أرخبيل سقطرى، بعد انفصاله عن اليابسة، سواء في عصر الميوسين، أم في عصور أخرى، فاجتثَّت ما كان عليه من ثدييات. ولكن الثدييات إذا

كانت قد وجدت في هذا الأرخبيل، كان يفترض أن يتم العثور على آثار لها في الطبقات الجيولوجية.

كان مستوى مياه البحار والمحيطات يتغيّر من زمن لآخر، خلال تعاقب الأدوار الجليدية، والدافئة على الأرض، ليس في عصر البليستوسين (Pleistocene) وحسب، وإنما في العصور السابقة كذلك. ففي الأدوار الجليدية كان منسوب مياه البحار والمحيطات ينخفض عما كان عليه في الأدوار الدافئة، ثم يعود إلى الارتفاع في الأدوار الدافئة، جراء ذوبان الجليد. وأثبتت الدراسات أن منسوب مياه المحيطات والبحار العالمية، في آخر ذروة جليدية في عصر الميوسين، ما بين ٢٦ – ١٩ مليون سنة، وصل انخفاضه إلى ١٥٠م ٥ ±م (Flemming et. al., 1998). وبالتالي فإن الكثير من الكتل القارية، كانت تظهر في مثل هذه المرحل في البحار، ومن المحتمل أنها ساعدت في عملية الانتقال، والتواصل بين الكائنات، وكذلك بالنسبة للإنسان نفسه، بعد ظهوره أواخر عصر البليوسين، وبداية البليستوسين، وهو المشهد الذي قد يبدو مستحيلا اليوم، ثم تعود هذه الكتل من جديد، إلى الوضع الذي كانت عليه سابقاً، تحت الماء في الأدوار الدافئة.

ومن المحتمل أنه في أحد الأدوار الدافئة، أو في أكثر من دور، سواء في نهاية الميوسين، أو البليوسين، أو حتى في بدايات البلستوسين، ارتفع منسوب المياه، خاصة أن مناخ جزيرة سقطرى يتميز، هو الآخر، بالعواصف، والرياح الشديدة الموسمية، فغمر هذا الأرخبيل، واجتثت المياه، ما كان عليه من حيوانات؛ مع أن منسوب ارتفاع المياه في أواسط، وأواخر عصر البليستوسين في جزيرة سقطرى، بلغ فقط ما بين ١٠– ١٥م عن المستوى الحالي للبحر (Svemoch 1982). ولكن الوضع الخاص بعدم وجود الثدييات البرية في سقطرى، سواء أكان سببه طغيان مياه المحيط على هذه الجزيرة، أم حدوث كوارث طبيعية، لا يُغيِّر، على الأرجح، من الأمر شيئاً، لأن هذه الحيوانات لو وجدت في أرخبيل سقطرى، لكانت دلائلها موجودة في طبقاته الأرضية، سواء أكانت على هيئة عظام متحجرة، أم على هيئات أخرى، وهو ما لم يتم العثور عليه إلى اليوم. وبعبارات أخرى لو أن أرخبيل سقطرى انفصل عن قارة جندوانا في الميوسين، بعد الانتشار الواسع للثدييات، لكانت آثارها موجودة في هذا الأرخبيل، سواء غُمر بالماء جزئياً، أم كلياً.

أضف إلى ذلك أن وجود السَّحَالي في هذا الأرخبيل (اللوحة ١٧: ٤– ٥) قد يشير بدوره إلى عدم تعرض هذا الأرخبيل لطغيان مياه المحيط، بشكل تام، بعد انفصاله عن اليابسة وظهوره في المحيط، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن وجود هذه السحالي قد يشير كذلك، إلى أن انفصال هذا الأرخبيل، حدث في زمن أقدم من عصر الميوسين، ولكن أغلب السحالي تتكاثر بالبيض، وليس كالثدييات بالولادة، ولذا فقد يقال: إن بيضاً من بيض هذه الزواحف، ظل عالقاً في مخابئه، أو أن الأتربة طُمرته أثناء هذا الطوفان، خاصة إذا كان للحظات قصيرة، فتفقس هذه البيض عندما عاد هذا الأرخبيل من جديد إلى الظهور في المحيط، وبذلك عادت حياة هذه السحالي فيه من جديد، إلاّ أن هذا الحديث الأخير، قد يكون لا معنى له، كونه أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع. وعليه فإن تحديد إحدى هذه الاحتمالات الأربعة، يتوقف بدرجة رئيسة، على التأكد بشكل قاطع من وجود، أو عدم وجود متحجرات، أو أي آثار أخرى للثدييات في الطبقات الجيولوجية لسقطرى.

إن غياب الثدييات في جزيرة سقطرى، أو أي أثر لها في الطبقات الجيولوجية حتى الآن، يطرح سؤالاً مهما، يتعلق بزمن ظهور هذا الأرخبيل في المحيط الهندي، إضافة إلى مسألة وصل صانع ثقافة ألدوان إليه من عدمه، أو على الأقل استمرار حياته في هذه الجزيرة، حتى لبضع سنوات، لعدم وجود مصادر الغذاء الحيوانية، بما في ذلك النباتية.

قراءة في أنواع الأدوات ومواقعها والخام المستخدم في صناعتها ولون البِلى

تعد أنوع الأدوات الحجرية، الفيصل الرئيس في تحديد العصور ومراحلها، فيما يعد الخام المستخدم في تجهيز هذه الأدوات، عاملا إضافيا مساعداً، ومشيرا في الوقت نفسه إلى الزمن النسبي. أمَّا آثار التعرية

على هذه الأدوات، بما في ذلك لون البِلى عليها، فتعد من المؤشرات الرئيسة الدالة على قدم هذه الأدوات، أو حداثتها.

أ- نوع الأدوات الحجرية

لا شك أن الأدوات الحجرية، التي نُسبت إلى ثقافة ألدوان، في الساحل الشمالي، في مركز حديبو، في جزيرة سقطرى (اللوحة ٤)، هي مَهَاشِم (Choppers) من حيث النوع، من ذات الجهة الواحدة(One Sides)، ومن ذات الجهتين (Two Sides)، إلى جانب وجود أحد المعاول (Pick) النموذجية، بين هذه الأدوات، وهذه الأخيرة، تُعدُّ من مؤشرات الانتقال، من عصر ألدوان، إلى العصر الأشولي، من حيث المبدأ. بينما سيادة المهاشم بين الأدوات الحجرية، هي من خصائص الثقافة الألدوانية. أمَّا الزمن النسبي الذي أعِيدت إليه هذه الأدوات، فهو ليس بأقل من (١,٤) مليون سنة كما ذُكر (Amirkhanov et. al., 2009: 74). هذا التأريخ يعدُّ من التواريخ المتأخرة لنهاية عصر ألدوان، وبداية العصر الأشولي. علماً أن بداية العصر الأخير، صارت تؤرخ في شرقي إفريقية ما بين ١,٧ – ١,٦ مليون سنة (Torre et. al., 2012).

ولكن حتى وإن كانت هذه المهاشم، هي السائدة بين الأدوات الحجرية الأخرى، في أماكن العثور عليها في سقطرى، إلى جانب المعاول، وهو ما تم ذكره، دون ذكر أي إحصاء لها، أو لغيرها من الأدوات الأخرى (Amirkhanov et. al., 2009: 73)، فستظل هذه الأدوات بحاجة إلى تعزيزات أخرى إضافية، تؤكد انتماءها بشكل موثوق إلى ثقافة ألدوان، على اعتبار أن وجودها يرتبط بجزيرة، وتحديداً جزيرة سقطرى، ذات التاريخ الجيولوجي سالف الوصف، والعالم الحيواني الخالي من الثدييات، وعالم النبات الخالي، هو الآخر، من غذاء الإنسان غالباً، رغم غناء هذه الجزيرة بأنواع مختلفة منه. ومن هذه التعزيزات المطلوبة، ضرورة العثور على أدوات من النوع نفسه (اللوحة ٤: ٥: ٢) في طبقات جيولوجية، تعود بمحتوياتها إلى الثقافة المذكورة. مع أن هذا الجانب قد يكون صعباً، إن لم يكن مستحيلاً، لأن المواقع الأثرية الموجودة في الطبقات الجيولوجية قليلة في جنوب غربي آسيا بشكل عام، ونادرة في الجزيرة العربية بشكل خاص، لأسباب بيئية، ولكن بيئة سقطرى الخاصة، قد تسمح بوجود تلك المواقع، إن كان الإنسان قد عاش فيها.

علماً أن المجس الاختباري الذي أقيم في موقع من مواقع هذه الأدوات في حَدِيبو، وجدت فيه بعض الأدوات التي نسبت إلى هذه الثقافة، على عمق لا يتجاوز ٣٥سم (اللوحة ١٢). ولكن إذا لم يوجد في هذه الجزيرة، هذا النوع من المواقع، فإنه لا بد من العثور فيها على مواقع سطحية أخرى، لنفس النوع من الأدوات (اللوحة ٤: ٥: ٢)، خاصة في الجزء الغربي، أو الجنوبي الغربي منها، على اعتبار أنهما الأقرب في هذه الجزيرة، إلى اليابسة المجاورة، وهو القرن الإفريقي (الخريطة ١، اللوحة ٢١)، إضافة إلى البحث عن هذه الأدوات، في جزر هذا الأرخبيل الأخرى (اللوحة ٢)، أن كان قد وصل صانع هذه الثقافة إلى سقطرى. أمَّا الأدوات المصنوعة من الصوان، فعلى الرغم من أنها صُنّفت أغلبها مهاشم (اللوحة ٧- ٩) من قبل جوكوف، وزملائه، ونسبت إلى ثقافة ألدوان، إلاّ أنها ليست مهاشم في الغالب، كما أنه من غير الممكن إعادتها إلى هذه الثقافة كذلك. حتى إن مسألة الشك في انتمائها إلى الثقافة المذكورة، غير وارد كذلك، استناداً إلى نوع الخام، والبِلى، وآثار التعرية، وأنوع الأدوات نفسها. فهي مكاشط (Scrapers) في أغلبها، كبيرة الحجم، ونوى (Cores)، وشظايا عليها بعض الأهذاب (Retouch)... الخ. حتى إذا أدرِجت هذه المكاشط الكبيرة الحجم، تحت مفهوم المهاشم، فإنها ستظل مهاشم، غير ألدوانية بكل المقاييس.

على الرغم من عدم وجود إحصاء لمحتوى هذه المواقع، ودراسة تفصيلة لها، فإن الموقع الوحيد الذي تم الحديث عنه، بقدر من التفصيل، هو موقع حَجَرية١. فقد ذُكر عنه ما يلي: جمعت من هذا الموقع ٢٦ صنعة حجرية من مساحة مقدارها ٦× ١٢م، وهي: نواة (core) واحدة، ومطرقة، أو (قارع) (Hammer)، وشظايا، وكِسر، إضافة إلى أربعة مهاشم متنوعة، ومعول (pick) نموذجي

واحد. ولكن لم يذكر نوع الخام الذي صنعت منه هذه النواة، والشظايا، والكِسر التي لم ترد صورها في المقال ذي الصلة (Amirkhanov et. al., 2009: 74)، أو بمعنى آخر هل يوجد في هذا الموقع مهاشم مصنوعة من الصوان إلى جانب المهاشم المصنَّعة من الأحجار المدحرجة ؟ وهناك تفاصيل أخرى لم يتم ذكرها لهذا الموقع، ومنها عدد المصنوعات، وأنواعها، ونسبها... الخ. أمَّا هذه الأدوات الخمس، التي ذُكرت من الموقع المذكور، فهي مصنوعة من الأحجار المدحرجة، وهي التي أستُشهد بها عن وجود ثقافة ألدوان في سقطرى (اللوحة ٤) على الأرجح، فيما المواقع الأخرى التي قيل إنها تعتد بالمئات لم يقدَّم منها حتى الآن، أي شيء يُذكر.

ب- خام الأدوات الحجرية

على الرغم من أن الأدوات الحجرية، التي أعادها أمير خانوف إلى ثقافة ألدوان في سُقطرى (اللوحة ٤)، مصنوعة من الأحجار المُدحرجة، وهو الخام الملائم لصناعة المهاشم في هذه الثقافة، للأسباب سالفة الذكر، ولكن إلى جانب هذا الخام، الذي صُنعت منه هذه الأدوات، هناك أدوات أخرى، صُنعت من الصوان، صنّفت كما سبق الذكر هي الأخرى، على أنها مهاشم (اللوحة ٧ – ٩)، وأعيدت إلى هذه الثقافة (Sedov et. al., 2009, Zhukov 2010). كان ذلك في العام نفسه الذي شارك فيه أمير خانوف عمل هذه البعثة، أو بمعنى آخر لو أن أمير خانوف، كان له رأي آخر فيها، لقال ذلك الرأي، سواء في المقال الذي نشره في العام نفسه (Amirkhanov et. al., 2009)، أم في مقال آخر، أم أوعز لزملائه بذلك. كما أن الكثير من هذه الأدوات الصوانية موجودة في المواقع الإلكترونية، التي أوردت نبأ هذا الاكتشاف، إضافة إلى التقارير العلمية (Sedov et. al., 2009, Zhukov 2010)، بينها أدوات صُنعت من صوان نقي نسبياً (اللوحة ٨: ٢) أعيدت إلى ثقافة ألدوان.

إنَّ خام الصوان، بشكل عام، لا يعد من الخامات المناسبة لصناعة مهاشم ثقافة ألدوان خاصة، لأسباب كثيرة. فالخام المناسب لصناعة هذا النوع من الأدوات، هي الأحجار المُدحرجة، سواء من حيث الصلابة، أم البساطة المطلوبة في تشكيل الجزء الفاعل في الأداة، من خلال ضربة واحدة، أو عدة ضربات قوية وعميقة، وهي مناسبة في الحجم، والشكل البيضوي، لقبضة يد الإنسان. فهذا الحجم وهذا الشكل يتلاءمان مع هذه القبضة، ومع قدرة الإنسان، وإمكانيته في السيطرة على الأداة، خلال استخدامها، في ذلك الزمن المبكر.

لهذه الأسباب مجتمعة، فإن الصوان غير مناسب لتجهز مهاشم ثقافة ألدوان، مع أن هذه الأدوات تُجهز من خامات أخرى، مثل الكوارتزيت (quartzite)، وبعض الخامات الأخرى الصلبة، وهي الخامات التي لم تُسجل بين هذه الأدوات في سقطرى. كما أن الصوان بحاجة إلى جهد في العثور عليه، مقارنة بالأحجار المُدحرجة، وإلى إدراك خواصه الفيزيائية، واختيار النوع الأفضل منه، الذي يتناسب مع نوع المصنوعات. وهي شروط قد لا تكون متوافرة جميعها عند صانع ثقافة ألدوان، على الرغم من جودة هذا الخام الكبيرة، في صناعة الأدوات الحجرية الصغيرة الحجم نسبياً، كالمكاشط، والسكاكين، والمثاقب، بما في ذلك تجهيز النوى... الخ.

وللاستدلال على ذلك، من واقع الجزيرة العربية، فإن الأدوات المصنوعة من الصوان، لم توجد في الغالب الأعم، بين الأدوات التي أعيدت إلى ثقافة ألدوان (Whalen et. al., 1986, Amirkhanov 1991)، ولم توجد كذلك بين الأدوات التي أعيدت إلى العصر الأشولي (Whalen et. al. 1988, Amirkhanov 2006)، حتى إن هذه الأدوات لم توجد بين أدوات العصر الحجري القديم الأوسط (Zarins et. al., 1981, Amirkhanov 1991)، إلاَّ فيما ندر، مع أن الصوان مناسب لصناعة الفؤوس اليدوية، والكثير من الأدوات الأخرى الأشولية الصغيرة الحجم، والموستيرية كذلك، ومع ذلك فقد بدآ استخدامه بكثرة منذ العصر الحجري القديم الأعلى (Amirkhanov, 2006: 233- 274)، وساد في العصر الحجري الحديث (المعمري ٢٠٠٠، ٢٠٠٣). وبالتالي فإن إعادة أدوات الصوان في سقطرى إلى ثقافة ألدوان، يستدعي حذراً شديدا، إن لم يكن من غير الممكن، مع

أن وفرة الخام المناسب في المكان، هي التي قد تحدد استخدام هذا النوع من الخام، أو ذاك، بصرف النظر عن الزمن. ولكن هذه القاعدة، لا تنطبق مع الصوان، في صناعة مهاشم ألدوان على وجه الخصوص، حتى وإن كان هذا الخام متوفرا في المكان. ومع ذلك، حتى وإن طُبقت هذه القاعدة في سقطرى، فإن صانع ثقافة ألدوان، كان يجب عليه أن يصنع أدواته من الخام الأكثر انتشاراً، وهي الاحجار المدحرجة، المنتشرة بشكل واسع في السواحل، والأودية... الخ (اللوحة ١٠- ١٣).

ج- البِلى

إن البِلى (Patina) الموجود على الأدوات المصنوعة من الأحجار المُدحرجة (اللوحة ٤)، التي أعيدت إلى ثقافة ألـدوان، الناتج عن عوامل التعرية المختلفة، من جهة، وعن قانون حتمية زوال المادة نفسها، من جهة أخرى (Rashed 1993a, 1993b,1993c)، بحاجة، هو الآخر، إلى تمحيص. ويُعني بالبِلى: الطبقة الرقيقة التي تتشكل مع مرور الزمن على المادة الأثرية، بفعل عوامل التعرية المختلفة، والتي تدل على قِدَم الأداة، أو حداثتها (المعمري ٢٠٠٠، ٢٠٠٣). مع أن لون البِلى على هذه الأدوات، خاصة ذات اللون المعتم، قد لا يكون واضحاً من خلال الصور الفوتوغرافية (اللوحة ٤- ٦). ولكن من جهة أخرى، فإن آثار الضربات الموجودة على هذه المهاشم (اللوحة ٤)، تكاد أن تكون غير متأثرة كثيراً بعوامل التعرية، بما في ذلك حواف هذه الضربات، التي لم تتأثر كثيرا، بتلك العوامل. وهذا كله يشير إلى أن هذه الأدوات ليست على قِدم ثقافة ألـدوان، كما يبدو، على الرغم من أنها في التصنيف النوعي تبدو قديمة، أو أن أنواعها تظهرها، كأنها من ثقافة ألدوان، إضافة إلى نوعية الخام، الذي جهزت منه هذه الأدوات، المتناسق، هو الآخر، مع هذا الانتماء. ولكن على الرغم من هذين العنصرين المهمين، اللذين قد يجعلان هذه الأدوات (اللوحة ٤، ٥: ٢)، تنتمي إلى الثقافة المذكورة، فإن مظهر البلى عليها، إضافة إلى عوامل أخرى، سيأتي ذكرها، قد تجعل التسليم بهذا الانتماء، غير مقنع بشكل تام، في ظل المستوى الحالي من الدراسة، ما لم يتم تعزيز هذين العاملين، بالمعطيات الإضافية الأخرى، سالفة الذكر.

أمَّا الأدوات المصنوعة من الصوان، فإن سمات البِلى الموجود عليها، وآثار التعرية، إضافة إلى أنواعها، تشير إلى حداثتها (اللوحة ٧- ٩)، بينها أدوات تأثرت بعوامل الرطوبة، وأخرى غطتها الأتربة من المحتمل لبعض الوقت، ثم أصبحت من جديد مكشوفة على سطح الأرض (اللوحة ٧: ٢؛ ٨: ١، ٣)، أو أن الخام الذي صُنعت منه هذه الأدوات (اللوحة ٨: ٤)، يبدو أنه هو الذي كان موجوداً في التربة، وليست بعد صناعة الأدوات عليه. وهناك أدوات أخرى، ظلت على سطح الأرض، منذ أن تركها صانعها، إلى أن تم العُثور عليها (اللوحة ٧: ١؛ ٨: ٢؛ ٩)، ولكن لم تتأثر بعوامل التعرية كثيرا، وهذا يدل هو الأخر على أن هذه المصنوعات حديثة. أضف إلى ذلك، حتى وإن كانت بعض الأدوات قد غطتها الأتربة، بعد أن تركها الإنسان (اللوحة ٧: ٢؛ ٨: ١، ٣)، فإنها لم تكن على عمق بعيد في الأرض، ولم تمكث في التربة فترات طويلة من الزمن.

لاشك أن بيئة الساحل، ومنها الرطوبة، وبيئة سقطرى بشكل عام، كان لها أثر على المصنوعات الحجرية عامة، فقد كانت أخف وطأة عليها، من أثر شدة الحرارة والجفاف، على مثيلاتها في البيئة الصحراوية، ولكن على الرغم، من أخذ هذا العامل بالحسبان، إلاّ أن الأدوات المصنوعة من الصوان، تبقى حديثة العهد بكل المقاييس. كما أن الأدوات المصنوعة من الخامين الآخرين، سالفي الذكر (اللوحة ٤- ٦)، لا يظهر عليها كثيرا أثر البِلى، والتعرية، مقارنة بأدوات ثقافة ألدوان في المواقع الأخرى السطحية. لا ريب أن أمير خانوف، كان قد دقق في عامل البِلى، وكذلك في نوع الخام، إذ ذكر غير مرة، أنه لم يجد في هذه الأدوات، ما يشير إلى اختلاف بعضها عن بعض في عملية الحفظ، وبالتالي في انتمائها إلى زمن واحد، هو زمن ثقافة ألدوان (Amirkanov et. al., 2009: 74). ولكن هناك فرق كبير في البِلى، بين الأدوات المصنوعة من الصوان (اللوحة ٧- ٩)، والأدوات المصنوعة من

الخامين سالفان الذكر (اللوحة ٤- ٦)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، هناك فرق في البِلى، بين المجموعات المصنوعة من كل خام على حدة، سواء المصنوعة من الصوان، أم المصنوعة من الأحجار المدحرجة (اللوحة ٤، ٥: ٢، ٣)، وخام السلِيْتْ المتحول (اللوحة ٥: ١، ٦: ١). وكما ذُكر سابقاً، فإن الأدوات المجهّزة من الصوان بشكل عام، أحدث من الأدوات المصنوعة من هذين الخامين الآخرين، وإن أقدم أداة في المجموعة الحجرية التي جُمعت من سقطرى بأكملها، هو المهشم رقم ٢ في اللوحة ٥، يليه المهاشم في اللوحة ٤، ثم أحدثها، هي الصنعة رقم ٢ في اللوحة ٦، أمَّا الأدوات المصنوعة من خام السلِيْتْ المتحول (اللوحة ٥: ١؛ ٦: ١)، فتتزامن على الأرجح، مع الأدوات المصنوعة من الأحجار المدحرجة في اللوحة ٤، أو إنها أحدث منها بقليل. وفيما يتعلق بخام الصوان، فإن الأداة رقم١ في اللوحة ٧ هي أقدم أداة، من أدوات الصوان في هذه المجموعة الحجرية بأكملها، مع أنها حديثة جدا، في المفهوم العام للبِلى وآثار التعرية، اللذين عرفناهما في المصنوعات الصوانية التي وجدت في الجزيرة العربية عامة. فمستوى البِلى الموجود على هذه الأداة، يتطابق مع البلى الذي وجد على الأدوات الحجرية في العصر البرونزي، وما بعده، أو إلى مرحلة ما بعد العصر الحجري الحديث، وليس إلى أقدم من ذلك.

إن مبدأ استخدام الصوان، في صناعة الكثير من الأدوات الحجرية، التي ثبت من خلال هذا التحقيق، أنها حديثة العهد، في جزيرة سقطرى، إلى جانب البِلى، وآثار التعرية، اللذان لم يؤثرا كثيراً على الأدوات المصنوعة من الأحجار المدحرجة، وخام السلِيْتْ المتحول، يطرحان السؤال الرابع، عن مدى تزامن هذه الادوات الأخيرة (اللوحة ٤- ٦)، مع زمن ثقافة ألدوان من عدمه، على الرغم من أنها مهاشم، وصنعت من الخامين سالفي الذكر (اللوحة ٤؛ ٦: ٢، ٣)، وهما العنصران اللذين يقودان إلى الاعتقاد في انتماء هذه الأدوات إلى ثقافة ألدوان.

قراءة في تخطيط المواقع

وجِدت، حسبما ذُكر، في المناطق الثلاثة التي سُجلت فيها مواقع ثقافة ألدوان في مركز حَديبو، وهي: حَجَرية، ودَنْغِهن، وحَديبو، نوعان من المنشآت الحجرية، هي: أكوام بسيطة (منشآت) دائرية الشكل (اللوحة ١٢: ١)، قطر كل منها ٣م، مؤلّفة من الأحجار المدحرجة المتوسطة، والكبيرة الحجم نسبياً، إضافة إلى مواقد، دائرية الشكل هي الأخرى، قطر كل منها ٧٠سم، ولكن لم تذكر عدد هذه المنشآت في كل موقع على حدة، سواء أكانت المواقد، أم الأكوام الحجرية، كما لم توصف علاقة بعضهما ببعض المكانية، أو بمعنى أخر، أين تقع المواقد من هذه الأكوام؟ وتفاصيل أخرى. وكما قيل، فإنه على الرغم من عدم وجود إثبات مباشر، على الربط بين هذين النوعين من المنشآت، والأدوات الحجرية المنتشرة في هذه المواقع، باعتبارهما مواقع سطحية، لكن العلاقة واضحة بينهما، كما ذُكر ذلك، من خلال الطبيعة الأثرية لهما، وتجاورهما في المكان (Amirkhanov et. al., 2009: 73)، أو بمعنى أخر، أن كل منها يكمل الأخر في تخطيط الموقع، وهي: الأدوات الحجرية، وتوزيعها في المكان، والمنشأة الحجرية، والمواقد، وجميعها تعود إلى زمن واحد، وهو زمن ثقافة ألدوان، بحسب رأي أصحاب هذا الاكتشاف.

إن هذا التخطيط المنسجم، بين مكونات الموقع، إضافة إلى وضعية المصنوعات الحجرية وتوزيعها في المكان (اللوحة ١٠)، إلى جانب الأدوات السائدة، وهي المهاشم، والمعاول، كما ذكر ذلك (اللوحة ٤)، علاوة على إشكال الأكوام الحجرية، ووضعية الأحجار الأخرى الطبيعية داخل الموقع (اللوحتان ١٠، ١٢) تدل جميعها، على أن هذه المواقع قديمة، قد تعود بالفعل إلى ثقافة ألدوان، ولكن فإن وجود موقد واحد، أو أكثر من موقد، في كل موقع من هذه المواقع، أو في بعضها، يعطينا تصوراً آخراً، هو: أن هذا المواقد، إمَّا أن تكون غير متزامنة مع محتويات الموقع الأخرى، بمعنى آخر، أن النار أضرِمت في فترة متأخرة عن وجود المصنوعات الحجرية، وهذه الأكوام الحجرية، وإمَّا الموقع بأكمله

يعود إلى المرحلة التي أضرمت فيها النار وهي مرحلة متأخرة، قد تكون هي المرحلة التاريخية، حتى وإن وجد فارق بينهما، فإنه قد لا يكون كبيراً.

فالنار لم تُكتشف إلاَّ في العصر الأشولي، وبتواريخ مختلفة، يصل أقدمها ما بين ١,٤- ١,٥ في شرقي إفريقية، خاصة في كينيا (James 1989)، على اعتبار أن العصر الأشولي ظهر هنا في زمن مبكِّر. كما وجدت آثار النار في عدد من المواقع في جنوبي إفريقية في العصر المذكور، بتواريخ قريبة من التواريخ آنفة الذكر. أمَّا المواقع التي وجدت فيها آثار النار في آسيا لنفس العصر، فتواريخها متأخرة، مثل مغارة جوكوديان (Zhoukoudian) في الصين، بتاريخ يصل إلى ٧٠٠ ألف سنة، ومغارة الطابون، وكهف كيسيمين (Kesemen grotte) في فلسطين، بتواريخ تصل إلى ٣٥٠ ألف سنة. ومن أقدم المواقع التي سجلت فيه آثار للنار في جنوب شرقي أسيا، هو (Gesher Bnot Ya'akov) (جسر بنات يعقوب) بالقرب من منطقة بنات يعقوب في نهر الأردن في فلسطين، بتأريخ يعود ما بين ٧٩٠ – ٦٩٠ ألف سنة ق. ح (Rincon 2004).

أضف إلى ذلك، أن جميع المواقع التي وجدت فيها آثار للنار، هي مواقع ذات طبقات أثرية محفوظة في الطبقات الجيولوجية، سواء في الكهوف، مثل كهف المواقد (Cave of Hearths) في جنوبي إفريقية، أو الكهوف التي سلف ذكرها في فلسطين، والصين، أم في مواقع خارج نطاق الكهوف، مثل موقع تِشسُوَانجا (Chesowanja)، وموقع أوُلُورْغِيسايالي، أو (أَوُلُورْغِيزايالي) (Olorgesailie)، وكووبي فورا في كينيا، وسُوَارتْكِرانس، أو (سُوَارتْكِرانس) (Swartkrans) في جنوبي إفريقية... الخ. ولم تسجل آثار للنار، في أي مواقع من المواقع السطحية، التي تعود إلى ثقافة ألدوان، وحتى في المواقع الأشولية السطحية، لأن بقايا النار في المواقع السطحية، لا تدوم طويلا، بسبب عوامل التعرية المختلفة، خاصة الرياح والأمطار. وإذا ثبت في دراسات لاحقة أن هذه المواقع تعود بالفعل إلى ثقافة ألدوان، وإن هذه المواقد سالفة الذكر، متزامنة مع مواقع هذه الثقافة، فستكون في هذه الحالة، اكتشافاً جديداً، إضافة إلى اكتشاف ثقافة ألدوان نفسها.

قراءة في مكان العثور على مواقع الأدوات الحجرية

إن العثور على مواقع الأدوات المصنوعة من الأحجار المدحرجة، التي تبدو قديمة من حيث النوع والخام (اللوحات ٤، ٥: ٢)، قرب الساحل، في مركز حديبو (الخريطة ١)، قد يكون له ما يبرره. فهذه المنطقة محمية نسبياً من الرياح الموسمية، كما ذُكر ذلك في جغرافية هذه الجزيرة وتضاريسها، إضافة إلى وجود المياه العذبة الدائمة في هذه الأودية، الآتية إليها من المرتفعات، إلى جانب الكمية المرتفعة لمخزون المياه الجوفية، التي تظهر على شكل عيون وينابيع في بعض أماكن هذه المنطقة (اللوحة ١٦). وعلاوة على ذلك، فإن الساحل الشمالي، تتوافر فيه بعض مصدر الغذاء، مثل الفطر، والقواقع... الخ (اللوحة ١٧). فهذه العوامل مجتمعة، جعلت صانع هذه الأدوات، يجد في هذا الساحل، مصادر للعيش، أفضل من الأماكن الأخرى في هذه الجزيرة، من المحتمل. ولكن، من جهة أخرى، فإن هذا الساحل، هو المكان المناسب للعيش، سواء للإنسان القديم، أم للإنسان المعاصر. فقد بدأ الاستيطان المعاصر لهذه الجزيرة من هذا الساحل، وفيه ظهرت المدينة الرئيسة في هذه الجزيرة، وهي مدينة حَديبو، كما أن الداخل إلى جزيرة سقطرى بوسائل النقل البحرية، يسهل عليه الدخول إلى هذه الجزيرة من هذا الساحل. هذه العوامل مجتمعة، بالقدر الذي تجعل الشك وارداً، في أن هذه الأدوات، تعود إلى ثقافة ألدوان، بالقدر نفسه، تجعل الشك وارداً، في أن يكون الإنسان المعاصر، الذي دخل هذه الجزيرة من الاتجاه الشمالي، هو الذي قام بصناعة هذه المهاشم، ما لم يتم العثور على أدوات من النوع نفسه في الجزء الغربي من جزيرة سقطرى، أو في الجزء الجنوبي الغربي منها، أو في أي جزيرة أخرى، من جزر أرخبيل سقطرى (اللوحة ٢). علماً أن أمير خانوف كان قد ذهب بنفسه إلى مركز قلنسية، في الطرف الغربي من هذه الجزيرة (الخريطة١)، وإلى أماكن أخرى في هذا الجزء، للتحقق

من هذا الأمر، ولم يجد فيها، حسب إفادته، مثل هذه الأدوات (Amirkhanov et. al., 2009: 73).

إن عدم العثور على أدوات من النوع نفسه، في المناطق المذكورة، يضع عدداً من الأسئلة المتعلقة بمصير الأدوات، التي أعيدت إلى ثقافة ألدوان في هذا الساحل الشمالي. أمَّا الأدوات المصنوعة من خام الصون (اللوحة ٧- ٩)، بصرف النظر عن مكان وجودها، فأن أقدمها، بناء على جميع المعطيات سالفة الذكر، يعود إلى زمن الإنسان المعاصر، الذي دخل هذه الجزيرة في حوالي نهاية الألف الثالث، وبداية الألف الثاني ق. م، وأحدثها يعود إلى ما قبل الإسلام، وإلى الفترة الإسلامية المبكرة من المحتمل، وهي كثيرة، وقد وجدنا مثلها خلال عملنا في سقطرى لفترة محدودة، في الجهة الشرقية، والهضبة الوسطى من هذه الجزيرة، وتبين لنا أنها حديثة.

أماكن مفترضة لدخول صانع أدوات ألدوان إلى سقطرى

يُفترض أن صانع ثقافة ألدوان، إن كان قد وصل إلى جزيرة سُقطرى، أن يصل إليها من الجهة المقابلة للقرن الأفريقي (اللوحة ٢١)، وهي الجهة الغربية من هذه الجزيرة، وليس الجهة الشمالية. فالجهة الشمالية، يصل منها عادة الإنسان المعاصر، عبر وسائل النقل البحرية، بسبب ملاءمتها للملاحة، أكثر من غيرها (الخريطة ١). فقد كان من المفترض أن يصل صانع هذه الأدوات أولاً إلى جزيرة عبدالكوري، باعتبارها الأقرب إلى القرن الأفريقي، من باقي جزر أرخبيل سقطرى، إذ المسافة بينهما حالياً، من واقع الهوغل، هي ٩٥كم (اللوحة ٢١)، ومن جزيرة عبدالكوري، انتقل بعد ذلك إلى جزيرة سَمْحَة، إذ تصل المسافة بين الجزيرتين إلى ٦٣كم، ومن جزيرة سمحة، انتقل إلى رأس شَوْعَب في الجهة الغربية من جزيرة سقطرى، وهو أقرب نقطة إلى جزيرة سمحة، إذ تصل المسافة بينهما إلى ٤٧كم. أو إن هذا الإنسان عبر من جزيرة سمحة إلى جزيرة دَرْسَة، إذ المسافة بينهما اليوم تصل إلى (١٧,٥) كم، ثم انتقل بعد ذلك من جزيرة درسة، إلى أقرب نقطة

اللوحة ٢٣: سلحفاة من سلاحف سقطرى، فهي كثيرة فيها، وكبيرة الحجم، وفيها توجد السلاحف الخضراء النادرة في العالم، ومن المحتمل أن صانع الثقافة الألدوانية استعاض عن لحوم الحيوانات البرية، بلحوم السلاحف، إذ كان يهاجمها، خلال خروجها من البحر لوضع بيضها على الشاطئ، إن كان قد وصل إلى هذه الجزيرة.

إليها في جزيرة سقطرى، وهو رأس فَتَانهن، الواقع في الطرف الجنوبي الغربي منها، إذ تصل المسافة بينهما إلى (٣٦) كم (الخارطة ١، اللوحة ٢١). وهو المكان الذي يفصل بين السهول الغربية الضيقة، وسهل نَوْجَد، الذي يُعد الأخير فسيحاً نسبياً، وترعى فيه الإبل في الوقت الحاضر. فمن هذه الجهة الغربية، أو الجنوبية الغربية في جزيرة سقطرى، يُفترض أن صانع هذه الأدوات الحجرية، دخل جزيرة سُقطرى، ومنها وصل، بعد ذلك إلى مركز حديبو في الجزء الشمالي منها، أو إلى أماكن أخرى من هذه الجزيرة، وليس من الجهة الشمالية المقابلة للجزيرة العربية التي وجدت فيها هذه الأدوات.

إن هجرة صانع هذه الأدوات من الجزيرة العربية، إلى جزيرة سقطرى، في ظل وجود العائق المائي الكبير سالف الذكر، كانت مستحيلة، على الأقل، كما يبدو لنا اليوم، لأن المسافة بين جزيرة سقطرى، وأقرب نقطة لها في الجزيرة العربية، تبلغ زهاء ٣٥٠ كم، وهي رأس فرتك، الواقع بين محافظة المهرة وحضرموت، وهذه المسافة تُعدُّ بعيدة، حتى وإن كانت في ذلك الزمن أقل من المسافة الحالية، مع أن المسافة بين جزيرة عبدالكوري في أرخبيل سقطرى، ورأس التوابل (العسير) في الصومال، تُعد بعيدة هي الأخرى، ولكن هي الأقرب

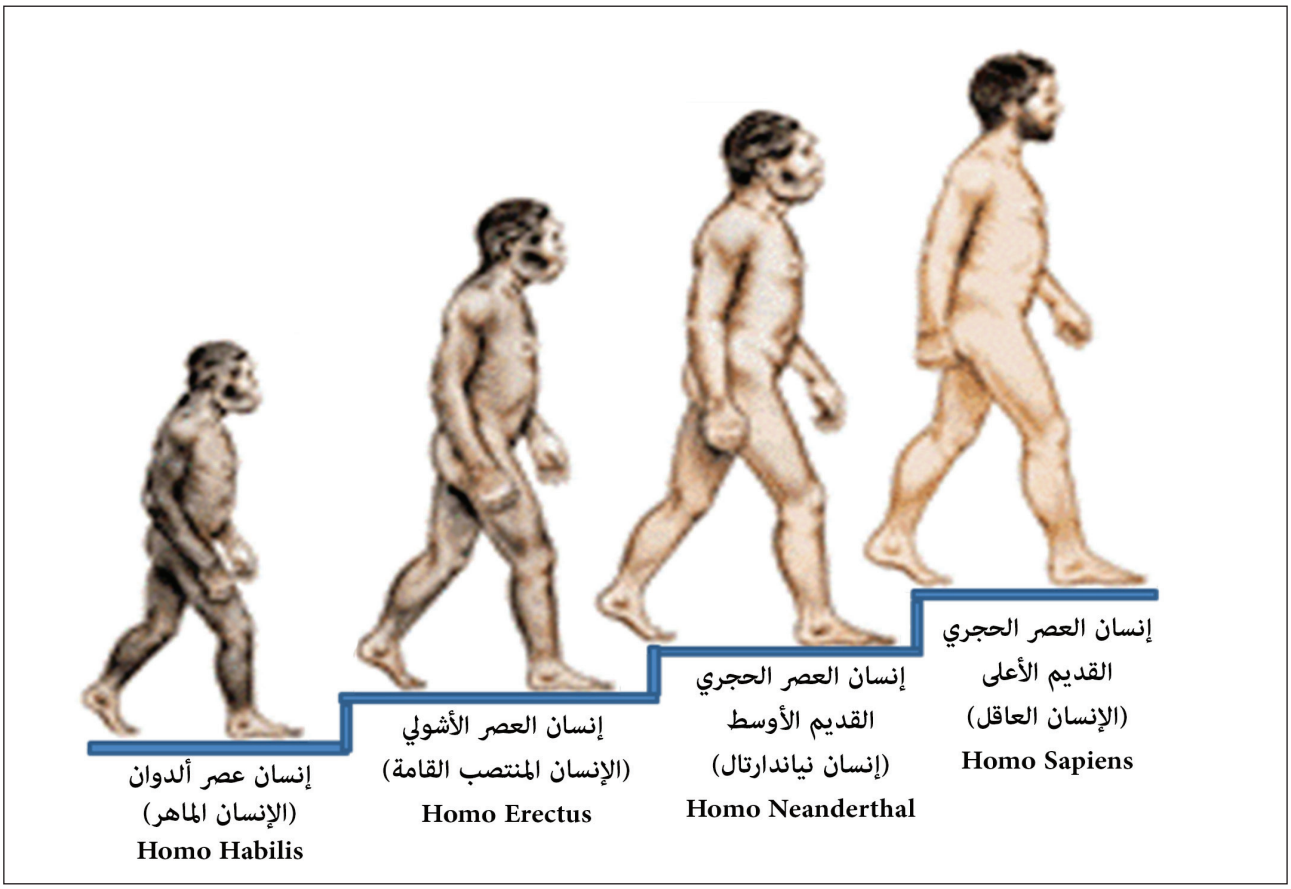

اللوحة ٢٢: لماذا صانع ثقافة ألدوان استطاع الوصول إلى جزيرة سقطرى؟ ولماذا لم تستطع باقي الأنواع الأخرى الوصول إليها؟

إلى جزيرة عبدالكوري، مقارنة بالمسافة، بين رأس فَرتك، وجزيرة سقطرى (اللوحة ٢١). ويُرجّح أن هذه المسافة الحالية، الواقعة بين جزيرة عبدالكوري، ورأس التوابل في الصومال، كانت في ذلك التأريخ المفترض، لوصول إنسان ثقافة ألدوان، إلى جزيرة سقطرى، وهو زهاء ١,٤ مليون سنة تقريباً، تبلغ حوالي ٨١كم، هذا إذا كانت الصفيحة العربية، تتزحزح عن الصفيحة الإفريقية بمقدار ١سم في السنة كما يرى بعض الباحثين (McKenzie et. al., 1970)، وقد تصل إلى ٧٤كم، إذا كان مقدار هذا التباعد بين القارتين، يصل في الحد الأقصى إلى ١,٥سم في السنة كما يراها آخرون. ولكن على الرغم من هذا الافتراض الذي يُعد منطقياً، في أن هذه الجهة الغربية، أو الجهة الغربية الجنوبية، هما الجهتان، اللتان يمكن أن يكون صانع تلك الأدوات، التي أعيدت إلى ثقافة ألدوان (اللوحة ٤)، قد دخل منهما إلى جزيرة سقطرى، فإن هاتين الجهتين، لم يوجد فيهما أدوات حجرية لذلك الإنسان إلى الآن، وهذا يطرح السؤال الخامس عن مصير هذا الاكتشاف.

التغيرات المناخية التي يُحتمل أنها ساعدت صانع أدوات الدوان في الوصول إلى جزيرة سقطرى

سادت في عصر البليستوسين، أدوار جليدية، وأخرى دافئة، في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، سلف وصفها، وفي الأدوار الجليدية الشديدة، وصل هذا الانخفاض في بعض البحار في عصر البليستوسين (Pleistocene) إلى ١٠٠م، عن مستوى منسوب مياهها الحالية، إضافة إلى تقارب الكتل القارية بعضها من بعض (Walwer 1995)، وهناك من يعتقد أن مستوى هذا الانخفاض وصل إلى حوالي ١٣٠م (William, Rocha 2014)، وفي بعض الأماكن إلى ١٥٠م، أو إلى أكثر من ذلك. وإذا افتُرض أن صانع الأدوات ألدوانية، التي عُثر

عليها في الساحل الشمالي، في جزيرة سقطرى، تمكن من العبور في الدور الجليدي غيونز (Günze)، الذي بدأ منذ أكثر من مليون سنة، إلى هذه الجزيرة، أو في الدور شبه الجليدي السابق له؛ دوناي (Donu)، فلماذا لم يدخل إليها إي نوع آخر، من الأنواع البشرية القديمة، التي أتت بعد صانع هذه الأدوات (اللوحة ٢٢)، وهي الأنواع التي لم يُعثر على أي أثر لها في هذه الجزيرة.

يمكن أن يُفترض أن العائق المائي بين أرخبيل سقطرى والقرن الإفريقي، أو الجزيرة العربية، وصل إلى أدنى مستوى له من الانخفاض، سواء في مرحلة دوناي، أم في غيونز، ما مكَّن ذلك الإنسان العبور إلى سقطرى سيراً على الأقدام، أو أن مستوى المياه كانت غير عميقة، بحيث كان يسهل على ذلك الإنسان تجاوزه بوسائل اعتيادية بسيطة، كالأطواف (Rafts)، بما في ذلك احتمال وجود عدد آخر من الجزر، التي قد تكون غارقة في المحيط، لا يمكن اليوم مشاهدتها، ساعدت ذلك الإنسان في العبور إلى سقطرى هي الأخرى. ولكن فإن هذا الافتراض، لا يدعمه عدم وصول الأنواع البشرية الأخرى، كما سبق الذكر، التي أتت بعد صانع هذه الأدوات (اللوحة ٢٢)، والتي عاشت هي الأخرى، في أدوار جليدية، وأخرى دافئة، بما في ذلك، عدم وصول أي من الثدييات الأخرى إلى هذه الجزيرة. وهذا

اللوحة ٢٤: استخدمنا هذه الصورة لتوضيح لحوم السلاحف، التي من المحتمل أن عاش عليها صانع أدوات ألدوان في سقطرى، إن كان قد وصل إليها، ولتسليط الضوء على بشاعة هذه المجزرة التي تعرضت لها عمداً سلاحف محمية شرمة في حضرموت في مارس ٢٠٠٧م.

بدوره يطرح السؤال السادس فيما يتعلق بمصير هذا الاكتشاف، أو بمعنى آخر، مدى إمكانية إعادة الأدوات المصنوعة من الاحجار المُدحرجة (اللوحة ٤)، إلى ثقافة ألدوان من عدمه.

إن هذه الأسئلة الستةُ، التي أوردت فيما سلف، هي نقاط الضّعف الأساسية في هذا الاكتشاف، إلى جانب نقاط أخرى، قد تكون ثانوية، سيأتي ذكرها، ولكن بالمقابل، هناك جوانب مهمة لصالح هذا الاكتشاف، إضافة إلى أنواع الأدوات الحجرية، ونوع الخام، الذي صُنعت منه هذه الأدوات، ستأتي تفاصيلها فيما بقي من هذا البحث.

تجارب في قدرات إنسان فجر التاريخ على الإبحار ومدى علاقتها بهجرة إنسان ألدوان إلى سقطرى

ما تزال معرفة الآثاريين بقدرات إنسان العصر الحجري القديم الأسفل، وجوانب كثيرة من تفاصيل حياته محدودة، ليس هذا وحسب، وإنما ما تزال هذه المعرفة، محدودة بتفاصيل حياة إنسان العصور الحجرية، بصورة عامة، بما في ذلك طرُق، ووسائل وصول إنسان العصر الحجري القديم الأسفل إلى أوروبا، وإنسان العصر الحجري القديم الأعلى إلى العالم الجديد، خاصة إلى أستراليا، التي كانت إلى وقت قريب، تبدو كأنها محلولة. فعلى الرغم من الأهمية القصوى للأدوات الحجرية، والبقايا العضوية، والمعطيات الأخرى ذات الصلة، التي عُثر عليها، ويتم العثور عليها، من وقت لآخر، في مواقع مختلفة من العالم، في تقديم معلومات عن حياة إنسان تلك العصور، إضافة إلى توظيف الكثير من المنجزات العلمية الحديثة في دراستها، فإن المعلومات الخاصة بتفاصيل حياته ما تزال قليلة، خاصة أن الكثير من المواد العضوية، المرتبطة بحياة ذلك الإنسان، لا تصل إلينا كاملة، بل إن الكثير منها لم يصل إلينا بالكامل، بسبب تحلله، بما في ذلك عدم معرفة تفاصيل الخصائص الطبيعية، والظروف البيئية التي عاش في ظلها إنسان تلك العصور.

مثلاً: هناك شبه كبير وجِد بين عناصر كثيرة في

ثقافة العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية، خاصة جنوبيها، وأمريكا الجنوبية، ومنها صناعة أنواع من الرؤوس الحادة ورؤوس السهام (Rashed 1993a) (المعمري ٢٠٠٠)، وعناصر تقنية أخرى، وبخاصة في المكسيك، بما في ذلك استخدام شراك الصيد، ومنها الرِّسي، والشرك الراجم (المعمري٢٠١٢)، وقد فُسِّر هذا الشبه، بسب بعد المسافات الجغرافية الكبيرة بين الجانبين، في أنَّ طُرُق العيش المتشابه، قد تقود في بعض الحالات، إلى وجود تقنيات متشابهة، على الرغم من عدم وجود قناعة بهذا التفسير، فقد يكون ذلك الشبه عائدا إلى صلات أخرى يصعب تفسيرها الآن.

وفي موضع آخر ذي صلة: أثبت الباحث النرويجي (ثُور هيردال) (Thor Heyerdahl)، بالتجربة، أن الشبه الكبير بين سكان جزر بولنيزيا (Polynesia)، وأمريكا الجنوبية، الذي كان يصعب فهمه من قبل الباحثين، ناتج عن صلات كانت تحدث بينهما (Heyerdahl 1948)، من خلال الإبحار بأطواف[٨]. والتجربة الثانية أثبت بها أن الشبه الموجود بين حضارة إنكا (Inca)في أمريكا الجنوبية، والحضارة المصرية القديمة، ناتج عن صلات ثقافية بينهما كذلك (Heyerdahl 1979)، من خلال الإبحار بالقوارب التي كانت تصنع من أوراق البردي[٩]. ومن خلال هاتين التجربتين، رغم بعدهما الكبير عن زمن العصر الحجري القديم الأسفل، يمكن أن يُفترض أن صانع ثقافة ألدوان، عرف أولى بداية الإبحار، من خلال استخدام جذوع الأشجار الطبيعية، بما في ذلك استخدامها في هجرته إلى سقطرى، خاصة في مثل تلك الأدوار الجليدية، سالفة الذكر، عندما كان ينخفض فيها مستوى مياه البحر، ولكن هناك سؤالان قد لا يدعمان هذا الافتراض، هما:

١- لماذا صانع هذه الثقافة، التي وجدت أدواتها في جزيرة سقطرى، هو الذي قام بتلك المهمة الصعبة، ولم تَقُمْ بها الأنواع البشرية الأخرى، التي أتت من بعدِه، وهي: الإنسان المنتصب القامة، وإنسان نياندرتال، والإنسان العاقل (اللوحة ٢٢)، رغم قدراتها الكبيرة، مقارنة بإنسان ألدوان، حتى وإن كان ذلك الإنسان، الذي دخل جزيرة سقطرى، هو الإنسان المنتصب القامة، فلماذا لم يدخل هذه الجزيرة، النوعان الآخران، اللذان أتيا بعده؟، وهي الأنواع البشرية التي لم توجد أي دلائلٍ أثرية لها في جزيرة سقطرى حتى الآن، وهذه حجة مهمة في هذا الشأن.

٢- إذا كانت هجرة صانع ثقافة ألدوان، من شرقي إفريقية، إلى جنوبي الجزيرة العربية، عن طريق باب المندب (اللوحة ٢٨)، ما تزال بحاجة إلى براهين إضافية لإثباتها، فكيف بالحديث، عن هجرة صانع هذه الثقافة، من شرقي إفريقية، إلى سقطرى. ولتقريب هذه الصورة أكثر، فإن العائق المائي، البالغ ٩٥كم، بين جزيرة عبدالكوري في أرخبيل سقطرى، ورأس العسير في الصومال (اللوحة ٢١)، يصل إلى قرابة أربعة أضعاف، المسافة الحالية، بين جيبوتي، وجزيرة ميُّون (بريم). هذه الجزيرة الواقعة في مضيق باب المندب، التي تُعدُّ جزءاً من محافظة تَعز مع هذا المضيق، تبعد عن أقرب نقطة من اليابسة في جيبوتي بمقدار ٢١كم، وعن اليابسة التابعة لها في محافظة تعز بمقدار ٣كم. ويعتقد أن المسافة بين أقرب نقطة في جيبوتي، وجزيرة ميون، في ألدوان المتطور (١,٤ مليون سنة)، كانت قرابة ٧كم، بينما المسافة بين أقرب نقطة من اليابسة في كل من محافظة تعز، وجيبوتي، على امتداد هذا المضيق، في ذلك التأريخ، كانت تصل ما بين ١٤-١٦كم، على اعتبار أن المسافة الحالية بينهما هي ما بين ٢٨- ٣٠كم، وإن الصفيحة العربية، تتزحزح عن الصفيحة الإفريقية (النوبية) بمقدار ١سم في السنة، كما سلف الذكر، مع أن آخرين يقدرون هذا الإزاحة بـ٦ملم في السنة، ومع ذلك فإن أن فرضية عبور صانع ثقافة ألدوان من شرقي إفريقية، إلى جنوبي الجزيرة العربية، عن طريق هذا المضيق، تطلب العثور على أدوات ألدوانية في جزيرة مَيُّون نفسها (اللوحة ٢٨)، أو على الأقل في الضفة المقابلة لها من اليابسة، القريبة منها في محافظة

تعز، أو في إحدى الجزر اليمنية الاخرى، المقابلة لشرقي إفريقية، مثل جزيرة زُقَر، أو حُنيش، أو أرخبيل حنيش بشكل عام، الذي يحتمل أن يكون هو الآخر، طريقا لهذه لهجرة، بسبب تعدد جزره، ومنها المغمورة في المياه، وعلى مستويات غير عميقة، وقريبة من اليابسة في شرقي إفريقية (اللوحة ٢٩)، وهي الطريقة الأكثر احتمالاً لهذه الهجرة من طريق باب المندب على الأرجح.

قراءة في مصادر الغذاء في جزيرة سقطرى

فيما يتعلق بالحياة المعيشية، أو الغذاء، الذي عاش عليه صانع الأدوات الحجرية في سقطرى، التي نسبت إلى ألدوان، فإن ما يمكن قوله، هو:

أولاً: إن عدم وجود الثدييات البرية في سُقطرى، كان يجعل حياة ذلك الإنسان فيها غير ممكنة، إن لم تكن مستحيلة. فالإنسان بطبيعته، لا يستطيع العيش دون تناول اللحوم فترات طويلة، من حيث المبدأ، مثله مثل باقي الثدييات الأخرى آكلة اللحوم. كما أن الأحماض الأمينة الموجودة في اللحوم، كان لها دور مهم في ذلك الزمن المبكر، بالنسبة لحياة الإنسان. وإلى جانب ذلك، فإن الوجبة الغذائية من اللحوم بسعراتها الحرارية المرتفعة، تجعل سواء الإنسان، أم غيره من آكلات اللحوم الأخرى، يقاوم الجوع فترة طويلة من الزمن، مقارنة بأي وجبة غذائية نباتية. وعلاوة على ذلك فإن حاجة الإنسان، تزداد إلى أكل اللحوم، في ظل شُحِّ المصادر الغذائية الأخرى، خاصة مثل بيئة سقطرى الفقيرة بهذه المصادر. وبالتالي فإن عدم وجود الثدييات في الجزيرة المذكورة، يُعدُّ من الدلائل، التي قد يُستدل بها على أن صانع ثقافة ألدوان لم يعِش فيها، أو على الأقل لن يستطيع المكوث فيها فترات طويلة من الزمن، هذا إن كان قد وصل إليها. وقد ذكر أصحاب هذا الاكتشاف، أن هذا الإنسان الذي تعتدُّ مواقعه في الساحل الشمالي من هذه الجزيرة، بالعشرات، بل بالمئات (Amirkhanov et. al., 2009: 73)، انتهت حياته في هذه الجزيرة، بصورة تراجيدية (أي هلك جوعاً)، بعد أن دخل إليها (Amirkhanov et. al., 2009: 74)، بسب عدم وجود مصادر العيش الطبيعية، التي تضمن له البقاء، مع أنه في موضع آخر من المقال نفسه، ذكر أن مصادر الغذاء البرية والبحرية، كانت متوافرة، وكافية لحياة ذلك الإنسان في ذلك الزمن (Amirkhanov et. al., 2009: 74)، دون ذكر لهذه المصادر.

ثانياً: إن عدم وجود النباتات التي يقتات بها الإنسان في جزيرة سقطرى، يجعل من حياة الإنسان في العصر الحجري القديم بشكل عام، غير ممكنة فيها، خاصة في ظل عدم وجود الحيوانات البرية. ومن الثابت أن إنسان ثقافة ألدوان، حتى دخول العصر الحجري الحديث، في زهاء الألف الثامن ق. م، كان يعتمد في غذائه على جمع القوت الجاهز من الطبيعة، إضافة إلى اعتماده على لحوم الحيوانات، التي كان يصطادها، أو يحصل عليها، بطرق أخرى مختلفة، وبالتالي كيف يمكن لذلك الإنسان القديم، الذي صنع أدوات ألدوان في جزيرة سقطرى، أو لإنسان آخر من العصر الحجري القديم بوجه عام، أن يعيش في هذه الجزيرة، حتى وإن افترض بعضنا، أن ذلك الإنسان صار يعتمد هنا، على أوراق بعض النبات، وعروق بعض الأشجار، إلى جانب السحالي، والفطر، وبعض الكائنات البسيطة، والمحارات، إن كانت قد وجدت في الساحل. كما أن النباتات ذات المحاصيل الطبيعية، والثمار بوجه عام، غير موجودة، هي الأخرى، في هذه الجزيرة رغم غناها بعالم النبات، أضف إلى ذلك، أن هذه الجزيرة فقيرة بالحياة البرية، بصفة عامة، بما ذلك السحالي، حتى السحالي الكبيرة الحجم نسبياً قليلة، هي الأخرى، إن لم

تكن نـادرة في هذه الجزيرة (اللوحة ١٧: ٤). فالسحالي الموجودة فيها، من ذات الحجم الصغيرة، في الغالب، التي يصعب قتلها، بسب سـرعة زحفها (اللـوحة ١٧: ٥). وفـي جميع الحالات، فإن جميع هذه الأحياء، سالفة الذكر، تُعدُّ ثانوية في الوجبة الغذائية، فهي لا تسمن ولا تغني من جوع، في ظل عدم وجود مصادر الغذاء الأساسية، المتمثلة باللحوم، حتى الفطر، وأحياء المياه العذبة الأخرى، مثل السرطانات (اللوحة ١٧: ٢)، قليلة في هذه الجزيرة، بوجه عام.

أمَّا مسألة الاستعاضة بالأحياء البحرية، بدلاً عن لحوم الحيوانات البرية، فإنه لم يثبُت حتى الآن أثرياً، أن كانت لدى الإنسان آنذاك، وسائل للصيد البحري، أو أنه اصطاد الأسماك في ذلك الزمن. حتى المحارات، التي بإمكان ذلك الإنسان، العيش على محتوياتها، كانت بحاجة، هي الأخرى، لاستخراجها من البحر، بما في ذلك الكائنات البحرية الأخرى. أضف إلى ذلك، أن هذه المحارات، والأصداف، لم تُسجل بكميات كبيرة، بجوار الأدوات الحجرية، التي تم العثور عليها، كي يُستدل من خلالها، أن ذلك الإنسان عاش على مكوناتها، كما لم تشاهد محارات كثيرة، أو أصداف على شواطئ هذه الجزيرة، باستثناء محارات اللؤلؤ، لتي تصادف في بعض الأماكن الساحلية، التي استخرجها الإنسان المعاصر، هذا إذ لم تكن مياه البحر قد جرفتها، خلال المد والجزر، أو في الأدوار الدافئة، سالفة الذكر، أو إذا كانت هذه الجزيرة قد تعرضت لطوفان.

ثالثاً: سيتم الافتراض، إن ذلك الإنسان القديم، الذي تمكن من دخول جزيرة سقطرى، في عصر ألدوان المتطور، استعاض في وجبته الغذائية، بلحوم السلاحف، فهي موجودة في الوقت الحالي في جزيرة سقطرى (اللوحة ١٧: ٣؛ ٢٣)، وكبيرة الحجم كذلك، إذ كان يهاجمها، خلال خروجها من البحر لوضع بيضها على الشواطئ، خاصة الشاطئ الشمالي منها، لمميزاته سالفة الذكر. ولكن هذا المصدر الغذائي، رغم غنائه باللحوم (اللوحة ٢٤) كماً وكيفاً، يُعدُّ أحادي الجانب، في ظل عدم وجود مصادر غذائية أخرى في جزيرة سقطرى، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يفترض أن عدد هذه السلاحف، كان كثيراً، يلبي حاجة الإنسان المتزايدة، وزيادة عدد السكان، من مرحلة لأخرى، كما أن خروجها لوضع بيضها في الساحل، يقتصر على فترات محددة، وليس في كل وقت. أضف إلى ذلك أن هذا الجانب، قد يحتاج إلى إثباتات مادية، من خلال العثور على دلائل لها، في طبقات جيولوجية، بجانب الأدوات الحجرية، التي أعيدت إلى ثقافة ألدوان. ومع ذلك يمكن أخذ هذا العامل، أولَّ دليلٍ على إن صانع هذه الأدوات، كان بإمكانه البقاء في

اللوحة ٢٥: أكواخ يسكنها بعض السُّقطريون إلى اليوم.

اللوحة ٢٦: حفظ السوائل في سقطرى بالخِرَاب إلى اليوم.

جزيرة سقطرى، فترات محدودة، بفضل وجود هذه السلاحف.

الحياة البسيطة والخام المستخدم في صناعة هذه الأدوات بين تأكيد هذا الاكتشاف ودحضه

لم يتكرر ظهور ثقافة ألدوان، من حيث المبدأ، في أي عصر آخر، فهي ثقافة خاصة بعصر ألدوان دون سواه، ولكن هذا المبدأ، لا يمنع من مناقشة هذا الأمر، بسبب الخصائص الطبيعية لجزيرة سقطرى، والحياة الإنسانية البسيطة (البدائية) فيها. فقد تكون لهذه الحياة البسيطة، وطبيعة المعيشة، الخالية من الصيد، إلى جانب توفر الاحجار المدحرجة، دور في إعادة صناعة هذه الأدوات من جديد بالصدفة، في فترة زمنية متأخرة. أو بعبارة اخرى، أن طبيعة الحياة المعيشية، هي التي قد تُملي على الإنسان، بطريقة لا إرادية، صناعة هذا النوع، أو ذاك من الأدوات، إضافة إلى نوع الخام، المساعد في ذلك، بغض النظر عن الفترة الزمنية.

أ- الحياة البسيطة في سقطرى:

أولاً: كان سكان جزيرة سقطرى يعيشون حياة بسيطة، حتى سبعينيات القرن العشرين الميلادي، إلى درجة أن بعضهم، ما يزال يعيش في أكواخ إلى وقت قريب (اللوحة ٢٥)، ويحتفظ بالكثير من السوائل، كالماء واللبن في الخِرَاب، والسمن والزيوت في القِراب، المصنوعة كلاهما، من جلود الحيوانات (اللوحة ٢٦)، بل وما يزال بعضهم، يشعل النار أحياناً، بطريقة الفَرك (اللوحة ٢٧)، التي تُعد من طرق ما قبل التاريخ، خاصة إن هذه الجزيرة، كانت تُحاصر لأكثر من ثلاثة أشهر في السنة، بسبب الرياح العاتية، سالفة الذكر. وهذا يجعل الشك وارداً في أن تكون هذه الأدوات الحجرية التي وجدت في الساحل الشمالي، حديثة، مثلها في ذلك مثل باقي هذه الظواهر الأخرى البسيطة، الموجودة في هذه الجزيرة، خاصة في ظل شحّ وجود المعادن فيها، بما في ذلك ندرة استخدام

اللوحة ٢٧: إشعال النار بالفرك يستخدم في جزيرة سقطرى عند الضرورة إلى اليوم.

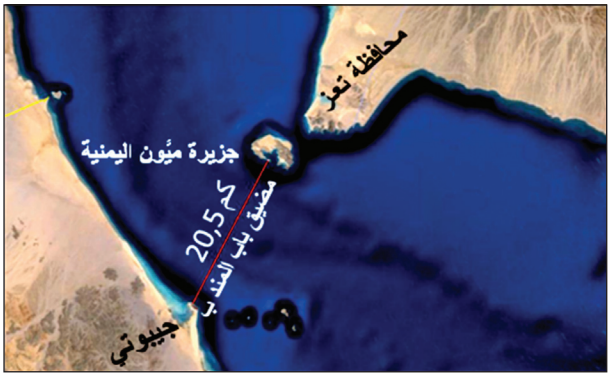

اللوحة ٢٨: جزيرة ميّون وطريق الهجرة المبكرة إلى جنوب الجزيرة العربية.

اللوحة ٢٩: أرخبيل حنيش وطريق الهجرة المبكّرة إلى جنوب الجزيرة العربية.

الأدوات المعدنية، التي تأتي إليها من خارج الجزيرة. ولكن إذا كان هذا الامر كذلك، فإنه لم يتم تسجيل أدوات حتى الآن، من هذا النوع البدائي، في المواقع الأثرية التي تنتمي إلى المرحلة التاريخية في سقطرى، وهذا بدوره دليل على أن هذه الأدوات، وجدت في مرحلة

أقدم من ظهور هذه المستوطنات، غير أن هذا الدليل قد يكون غير كاف، على أن هذه الأدوات تعود إلى ثقافة ألدوان، وليس لعصر آخر، ومع ذلك فإنه دليل ثانٍ لصالح هذا الاكتشاف، علماً أن هناك عوامل أخرى، قد لا تؤكد هذا الدليل، منها الدور الثانوي للخام، وجوانب من المعطيات الأثنوغرافية، سيدور الحديث عنهما في نهاية هذا البحث.

ثانياً: إذا كان الإنسان المعاصر، الذي وصل إلى سقطرى، هو الذي صنع هذه الأدوات البدائية (اللوحة ٤)، فإنه كان من المفترض، أن يصنع أدوات من النوع نفسه، الذي اعتاد عليه في موطنه الأصلي، مثل الأنصال، والرؤوس الحادة، ورؤوس السهام... الخ، وليس مثل هذه النوع، الموغل في القدم، البعيد عن زمنه، وعن مخيلته. وهذا قد يكون دليلاً ثالثاً، أقوى من الأدلة السابقة، يشير إلى أن هذه الأدوات، سبقت دخول الإنسان المعاصر إلى سقطرى، وإن ثقافة ألدوان، ظهرت في عصرها، ولم تظهر بعد ذلك، في أي عصر آخر، وإن وجدت أدوات منها في عصور لاحقة، فهي نادرة، ويجب أن تكون مقرونة بأدوات من نوع آخر.

ولكن من جهة أخرى، فقد وجدت أدوات من الصوان في سقطرى أعيدت إلى ثقافة ألدوان، وهي حديثة، حسبما ظهر في هذا التحقيق، مع أنه من غير المعروف، هل هذه المصنوعات الصوانية، وجدت في المواقع التي وجدت فيها الأدوات المصنوعة من الأحجار المدحرجة، وخام السلِيِّتْ المتحول، أم لا؟ أضف إلى ذلك أنه يجب التنبه هنا، إلى حقيقة أخرى مهمة، وهي: أن الحياة المعيشة في جزيرة سقطرى ذات طابع خاص، فهي لا تحتاج إلى أدوات الصيد البري التي وجدت خارج جزيرة سقطرى، في جميع العصور الحجرية، بحكم عدم وجود حيوانات الصيد البري فيها، وحتى الأدوات المرتبطة بصيد الأحياء البحرية، التي يفترض، أن تكون قد وجدت في هذه الجزيرة في فترة متأخرة، بحكم انتشار هذه الكائنات، لم تسجل هي الأخرى فيها. وبالتالي فقد تكون هذه المهاشم (اللوحة ٤)، التي أعيدت إلى ثقافة ألدوان، هي من صنع الإنسان المعاصر الذي استوطن هذه الجزيرة، فهي بهذا النوع، قد تكون ملائمة مع طبيعة الاقتصاد الخالي من الصيد، والحياة البسيطة.

ب- المعطيات الأثنوغرافية خارج جزيرة سقطرى

سكان جزيرة سُقطرى الأصلين، يمنيّون، قدموا إليها من اليمن في نهاية الألف الثالث، وبداية الألف الثاني ق. م، انطلاقاً من ثقافة هؤلاء السكان المادية المعاصرة، بعناصرها المختلفة، والروحية كذلك، بما في ذلك اللغة السقطرية نفسها، فهي ذات صلة بلغة جنوبي الجزيرة العربية القديمة، إلى جانب اللغة العربية المعاصرة التي يتحدث بها سكان هذه الجزيرة أيضاً، إضافة إلى الدراسات الأنثروبولوجية المختلفة (Naumkin 1988, 1993, 2008)، والذاكرة التاريخية، لدى هؤلاء الناس، من خلال حديثهم عن أصولهم، وقبائلهم التي انحدروا منها، علاوة على شعورهم الذاتي، بأنهم قدموا إلى هذه الجزيرة، من المهرة وحضرموت، ومناطق أخرى يمنية، وهو العامل الأقوى، في تحديد الإثنيات (الأجناس)، الذي لا يمكن استئصاله بسهولة من نفوس الناس وذاكرتهم.

ولكن دخل إلى هذه الجزيرة، قراصنة البحر، في فترات مختلفة، خاصة إلى شواطئها الشمالية، إلى جانب الهنود، والمصريين القدماء، والإغريق، والفرس، والروم، واحتلها البرتغاليون عام ١٥٠٧م، كما احتلها الإنجليز خلال احتلالهم مدينة عدن عام ١٨٣٩م، ولا يُستبعد أن وصلت إليها جماعات بشرية أخرى بدائية، غير معروفة إلى الآن، قبل هذه التواريخ، وفي فترات متأخرة من عصور ما قبل التاريخ كذلك. ومع ذلك، فإن الدراسات الأثنوغرافية لا تُذكر أي جماعة من الجماعات البشرية، التي ما تزال تحتفظ بعناصر من عناصر ثقافات عصور ما قبل التاريخ إلى وقت قريب، أنها كانت تصنع أدوات حجرية، شبيهة بأدوات اثقافة ألدوان، كي نفترض من خلالها، أن بين القادمين إلى جزيرة سقطرى، سواء أكان ذلك منذ نهاية الألف الثالثة

ق. م، أم قبل هذا التأريخ، أو بعده، كانوا على صلة بهذه الجماعات، أو على دراية مثلها، بمثل تلك التقاليد البدائية. وهذا دليل رابع، قد يكون قوياً أيضاً، على أن هذه الأدوات (اللوحة ٤)، قد تعود بالفعل إلى ثقافة ألدوان. غير أنه، في الوقت نفسه، يجب أخذ الحذر من أمرين، هما: أولاً: أن الجماعات البدائية خارج جزيرة سقطرى، تعتمد في حياتها على الصيد، والجمع، الذي لا يستدعي إعادة أنتاج مثل أدوات ثقافة ألدوان، خاصة المهاشم، بينما الصيد، والجمع غير موجودين في جزيرة سُقطرى، خاصة الصيد البري، وبالتالي لا يُستبعد أن الجماعات المبكرة في زمن الإنسان المعاصر التي دخلت سقطرى، هي التي قامت بصناعة هذه الأدوات بالصدفة، أملتها عليها طبيعة العيش الخالية من الصيد، وتوفر الخام المناسب لتلك الصناعة، وهي الأحجار المدحرجة.

ج- علاقة أنواع الأدوات بموضوع استخدامها ونوع الخام

أثبتت بعض التجارب والمشاهدات الأثنوغرافية، إن نوع الخام المستخدم في صناعة الأدوات الحجرية، يؤدي دوراً في تشكيل نوع الأدوات وتحديد تقنيتها (Andrefsky 1994)، ويشمل هذا التأثير وفرة الخام في المكان من عدمه، ونوع الخام نفسه (Ethan and Douglas "with out date", Costopoulos and Ostoja-Starzewski 2007)، هذا إلى جانب متطلبات استخدام هذه الأدوات، إذ يقودان معاً، إلى ظهور هذا النوع، أو ذاك من الأدوات، في أي وقت كان، بصرف النظر عن التجربة السابقة، أو العصر الفعلي الذي تنتمي إليه هذه الأدوات، أو تلك. أو بعبارة أخرى فإن نمط العيش، هو الذي يحدد أنوع الأدوات، إلى جانب طبيعة الخام المستخدم في صناعتها، الذي يساعد هو الآخر في تحقيق هذا الأمر، بصرف النظر عن العصر الذي قد تنتمي إليه هذه الأدوات. وكما سلف الذكر فإن نمط العيش في سقطرى، لا يقوم على أساس الصيد، الذي يحتاج إلى أدوات خاصة، مغايرة للأدوات التي عُثر عليها في هذه الجزيرة، وهي المهاشم والمكاشط (اللوحات ٤-٩)، التي يمكن استخدامها في أغراض أخرى متعددة، وفي فترات تاريخية مختلفة، على عكس أدوات الصيد، المتمثلة بالأنصال، والرؤوس الحادة، ورؤوس السهام، المحصورة وظيفتها في نمط الصيد.

إن إقرار أمير خانوف بوجود ثقافة ألدوان في جزيرة سقطرى من خلال هذه الأدوات الحجرية (اللوحة ٤، الشكل ١)، جعل أعضاء البعثة الروسية العاملة في جزيرة سقطرى، يصنّفون جميع المصنوعات الحجرية، التي يجدونها، مهاشم، ويعيدونها إلى هذه الثقافة (Sedov et. al., 2009, Zhukov 2010, 2014)، مع أن أغلبها، ليست مهاشم، وفي الوقت نفسه، ترجع إلى الإنسان المعاصر، الذي دخل هذه الجزيرة في حوالي نهاية الألف الثالث، وبداية الألف الثانية، وقد تعود أغلبها إلى ما قبل الإسلام (اللوحات ٧-٩)، إن لم تكن بعضها للمرحلة الاسلامية، وهذا ما أظهره هذا التحقيق.

ختاماً، هناك أسئلة كثيرة محيّرة، عن حقيقة وصول صانع ثقافة ألدوان، إلى جزيرة سقطرى، فيما يتعلق بالأدوات المجهزة من المدحرجات (اللوحتان ٤، ٥: ٢) على وجه الخصوص، إضافة إلى خام السلِيّت المتحول (اللوحتان ٥: ١؛ ٦: ١)، ولكن ما يمكن قوله في نهاية هذا المقال، هو أن الإقرار، بصحة انتماء هذا الأدوات إلى هذه الثقافة، سيتوقف على الدراسات المستقبلية في هذا الموضوع في الجزيرة المذكورة، والتي ينبغي أن تكون متعددة الجوانب، ومبنية على معطيات موثوقة بها، ومنها المواقع ذات الطبقات الجيولوجية، أو ضرورة العثور على مواقع أخرى سطحية في هذه الجزيرة، في الجهة الغربية، أو الجنوبية الغربية منها، على اعتبار أن هذه الجهة، هي التي يُفترض أن يكون هذا الإنسان قد دخل منها إلى سقطرى، أو العثور على أدوات من النوع نفسه، في جزر أخرى من جزر هذا الأرخبيل. أمَّا الأدوات المصنوعة من الصوان، التي أعيدت إلى ثقافة ألدوان، فهي مرة أخرى للتأكيد، تعود إلى المرحلة التاريخية، ولا يوجد أدنى شك في ذلك.

د.عبد الرزاق بن أحمد راشد المعمري: قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود، الرياض.

الهوامش:

١- ورد هذا الوادي عند الروسيين باسم حَجْرِيَة، بما في ذلك تسمية هذه النقاط: حجرية١، ٢، ٣، بينما يرد في مصادر أخرى باللغة العربية اسم آخر، هو (حَشْرية)، ولكن من غير المعروف: هل هناك أسمان لواديين مختلفين في المكان نفسه، أحدهما حجرية، والآخر حشرية، أم أنهما لواد واحد، إضافة إلى ذلك، ورد عند الروسيين كذلك وادي (wadi Tharditror) في منطقة موري، ولكن لم نعرف نطقه الصحيح، وقد أوردناه كما كُتب عندهم باللغة الإنجليزية إلى جانب الروسية، وكذلك (Raquf)، علما أن الاسم الأخير اسمه الحقيقي (رَوْكَب) حسبما سمعناه من أهالي سقطرى، وهو جبل في الجهة الشرقية من مدينة حديبو، فالروسيين يحوّلون عادة حرف (ب) الموجود في بعض الأسماء العربية إلى (ف). والغريب أن هذا الاسم صار يكتب باللغة العربية (راكوف) نقلا عن اللغة الروسية، وكذلك حَجرية' إن لم يكن حشرية، كما أن كهف القُزة في حضرموت، كتبه الروسييون (الجُزة)، وصار يكتب باللغة العربية كما هو عند الروسيين، نقلا عنهم، وهناك أسماء أخرى كثيرة في سقطرى وفي الجزيرة العربية عامة، كتبت بطريقة غير دقيقة، بدون الإشارات الاصطلاحية المتعارف عليها للحركات (Transcription)، سواء باللغة الروسية، أم بالإنجليزية، أو بلغات أجنبية أخرى، وأصبحت تنقل عنهم كما كتبوها هم، وليس كما ينطقها السكان المحليون.

http://socotra.info/russian-archaeological-expedition-in-socotra.html#.VziFVjV95dg

٢- نُقل هذا الاكتشاف في شهر سبتمبر ٢٠٠٩ في مؤتمر دولي عُقد في مدينة (مُحَشكلة) في جمهورية (داغيستان) في القوقاز عن (الهجرات الإنسانية المبكّرة إلى أوراسيا)، من خلال مداخلة موجزة، قدمها أمير خانوف، بعنوان: (اكتشاف أدوات ألدوانية في سُقطرى)، إلى جانب الحديث عن أدوات من النوع نفسه، كان قد أعلن عنها، في وقت سابق، أنه عثر عليها في مواقع في القوقاز. http://archive.is/SRnI، ويُعد أمير خانوف من المتخصصين الأوربيين القلائل في العصور الحجرية، واللذين درسوا هذه العصور في الجزيرة العربية، وهو يرأس قسم العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط في معهد الآثار – أكاديمية العلوم الروسية في مدينة موسكو.

٣- تلفظ أحياناً عبدالكُوري، وحين آخر عبدالكَوْري، وهناك جزيرتان صغيرتان، الاسم الشائع لهما، كِعَال فرعون، وهناك بعض المحليين من يسمها بيض فرعون.

٤- وضعت في البحث تواريخ العصور الجيولوجية، للقارئ غير المتخصص، كي يعرف تواريخ هذه العصور، ويشعر بمدى بعدها عن وقته الحاضر، علماً أن هناك تواريخ مختلفة لهذه العصور، بعضها قديمة، وبعضها الآخر حديثة، لكن هذا الاختلاف ليس كثيراً، ولا يغيِّر من جوهر الأمر شيئاً.

٥- يسمى هذه الحيوان قطة الزباد، ويسمى كذلك الرتم، كما يُسمى في بعض المناطق اليمنية مُسَيْكَة، حيث يحتمل أن الاسم الأخير راجع إلى أن هذا الحيوان يتم الامساك به عادة، سواء من خلال مطاردته، أم من خلال التحايل عليه، كما يفعل السقطريون أحياناً اليوم، بأن يضعوا له دجاجة مشوية عادة في فخ يتم اعداده مسبقاً، وهي من الدجاج المثلّج لأن الدجاج الحي لا يُربَّى هو الأخر في جزيرة سقطرى، فيتم القبض عليه من خلال هذا الفخ، ويستخرج منه السائل المطلوب لصناعة الزباد، من خلال الفرك على عصارة خاصة فيه، فتخرج منه قطرات قليلة من فتحة الشرج، وبعد أخذ هذه القطرات يتم إطلاقه من جديد إلى الطبيعة، فيما يحكي آخرون أنه في حالة مطاردة هذا الحيوان يظهر الرشح في آباطه على شكل قطرات، فيتم كشطها إلى وعاء لنفس الهدف، علاوة على استخراج عصير تلك الغدة سالفة الذكر. وهذا الحيوان هو حيوان متوحش يتواجد في الجزيرة العربية، ويبدو أنه أدخل منها إلى جزيرة سقطرى مع الداخلين من اليمن إلى هذه الجزيرة، مع أن هناك من يشير إلى أن هذا الحيوان جُلب إلى سقطرى من الهند، ولكن دون دليل على ذلك، علماً أنه في جزيرة سقطرى شبيه بالرتم الإفريقي إلى حد ما (لوحة ١٤)، وفي كلا الحالتين، فهو ليس من الحيوانات المحلية الخاصة بجزيرة سقطرى، وإنما أدخل إليها، وغير موجود كذلك في باقي جزر أرخبيل سقطرى.

٦- كما يقصد ب (silicified slate) صخور متحولة متينة سهلة التفليق، ويعدُّ السليْت (slate) هو الصخر المقصود، وهو صخر متحول ذو حبيبات دقيقة رمادي اللون، أو ذو لون مخضر، أو مزرق أرجواني، سهل التفليق إلى صفائح. أمَّا (silicification)، فيقصد بها في الجيولوجية عملية تحول الصخور، أو البقايا العضوية مع السيليكا إلى نَوع آخر، كالمتحجرات، أو الأخشاب المتحولة أو الصخور الجيرية المتحولة. وسنستخدم في التعبير عن هذا الخام في المتن بكلمة السليت، أو السليت المتحول، بدلا من كلمتي (السَليسيفايد سَليْتْ).

٧- يُقصد بـ (Pebbles) أحجار السواحل، والأودية، والأنهار، والبحيرات كذلك، التي صارت على شكل بيضاوي، أو شبه بيضاوي، وصلبة للغاية، بسبب حركات المياه لها، وسحبها من مكان لآخر، وهي الحركة التي أكسبتها هذا الشكل، وهذه المتانة. وعادة تترجم إلى اللغة العربية حصى، مع أن الحصى، يقصد بها الأحجار الصغيرة، سواء تشكلت بفعل حركات المياه، أم بغيرها، ولكن هذه الأحجار هي أحجار كبيرة الحجم نسبياً تشكلت بعل حركات المياه (اللوحة٤)، ولذلك استخدم شخصياً للتعبير عنها بـ: الأحجار المُدحْرَجة، أو (المتدحرجة)، والاسم المفرد: دحروجة، أو مدحرجة، أو متدحرجة، والجمع دحارج، ومدحرجات، وللتصغير دحيرجة، والجمع: دحيرجات. كما استخدم أحياناً: الأحجار الصماء، أو الاسم المفرد صُمْصمة والجمع: صماصم، وصمصمات/ أو صمصميات، والتصغير، صميصمات، للتمييز بينها، وبين تلك الحصى الصغيرة الحجم، ومنها التي لَم تتشكل بعل حركات المياه. وهي في سقطرى تشكلت على ذلك النحو البيضوي من خام الشيرت (Chert) في الغالب.

٨- ولد (ثُور هيردال) (Thor Heyerdahl) عام ١٩١٤م، وتوفي عام ٢٠٠٣م، وكان رحّالة وباحثاً في علوم كثيرة: علم الإنسان (Anthropology)، والآثار، والأثنوغرافيا، والحيوانات القديمة، والنبات، واللغة... الخ، وقد قام بتجارب على قدرات إنسان فجر التاريخ والفترة المبكرة من المرحلة التاريخية على الإبحار، فصنع طوفاً (قارب بدائي) بمساعدة حرفيين من جمهورية البيرو عام ١٩٤٧م. وهو يتألف من جذوع بعض الأشجار المربوطة بعضها ببعض، وقد صُنع هذا الطوف بناء على الوصف المشفوع بالرسم الذي كتبه المستعمر الأسباني عن هذه الأطواف التي وجدها تُستخدم في القارة الأمريكية حتى دخوله إليها. وفي نفس العام ركب هذا الباحث مع خمسة رحالة آخرين هذا الطوف من البيرو، وتوجهوا غرباً نحو جزر (بولينيزيا) (Polynesia) في المحيط الهادي، فوصلوا أقربها إلى أمريكا الجنوبية بعد (١٠١) يوماً، قاطعين بذلك مسافة ٨٠٠كم. ومن خلال هذه التجربة

أثبت هذا الباحث وجود اتصال بين هذه الجزر البعيدة، وأمريكا الجنوبية، من خلال استخدام هذه الأطواف، التي كانت موجودة في هذه القارة منذ زمن طويل. وأثبت كذلك ما كانت تشير إليه المصادر الأثرية، من جهة، وما كانت شعوب هذه القارة تدَّاوله في أساطيرها، من جهة أخرى، عن وجود صلات بينها، وبين سكان هذه الجزر، وهو ما كان يستعصي على الباحثين إثباته قبل القيام بهذه التجربة. كما أثبت أن بعض النباتات الموجودة في جزر (بولينيزيا) أحضرت إليها من أمريكا الجنوبية، ومنها البطاطس، وجوز الهند... الخ، وهي النباتات التي كان الباحثون في علم النبات وغيرهم، متأكدين من أن موطنها الأصلي هو القارة الأمريكية، خاصة الجنوبية، ولكن في ظل عدم وجود تفسير علمي مقبول لها آنذاك، كانت تُفسَّر بأن مياه المحيط الهادي هي التي أوصلتها إلى هذه الجزر البعيدة.

٩- التجربة الثانية ذات الصلة بموضوع مقالنا هذا، أجراها الباحث نفسه، لإثبات ما تشير إليه المصادر الأثرية كذلك، عن وجود صلات ثقافية بين إفريقية، والقارة الأمريكية، خاصة بين الحضارة المصرية القديمة، وحضارة إنكا (Inca) في أمريكا الجنوبية، والتي لم يكن بمقدور الآثاريين تقديم تفسيرات مقبولة لها. فقد قام هذه المرة بصنع قارب بدلاً من الطوف، مصنوع من نباتات البردي (Papyrus)، كان ذلك في عام ١٩٦٩م، استناداً إلى نماذج (Models) هذه القوارب التي وجدت في أهرامات الفراعنة، ورسوماتهم الفنية، بما في ذلك في الكتابة الهيروغليفية. وقد أحضرَت هذه النباتات من أثيوبيا، بينما قام بصناعة هذا القارب حرفيين من تشاد. ثمَّ بدأ رحلته في العام المذكور، بعد تجهيز هذا القارب، من المغرب في شمال إفريقية، متجهاً نحو أمريكا الجنوبية، عبر المحيط الأطلنطي، ولكن القارب غرق بعد أسابيع من الإبحار. غير أنه لم ييأس من فشل هذه التجربة، وإنما عرف أخطاءها، فصنع قارباً آخراً عام ١٩٧٠م متجاوزاً فيه تلك الأخطاء السابقة. وقد استدعى في هذه المرة حرفيين لصناعته من بوليفاء – أمريكا الجنوبية، وأبحر في العام نفسه بعد تجهيزه من المغرب كذلك، عبر المحيط الأطلنطي، إلى أن وصل جزيرة (Barbados) في البحر الكاريبي. فأثبت من خلال هذه التجربة أن الإنسان كان بإمكانه الانتقال من إفريقية إلى أمريكا، عبر تلك القوارب البسيطة، وبالتالي وجود صلات ثقافية بين مصر القديمة، وأمريكا الجنوبية في تلك الفترة التي وجدت فيها هذه القوارب، وإن الكثير من الظواهر الأثرية المتطابقة في هذه القارة، مع الحضارة المصرية القديمة، أتت إليها من مصر القديمة عبر هذا الاتصال، ومنها طريقة التحنيط، وبناء الأهرامات الموجودة في حضارة إنكا في المكسيك... الخ. مع أن هناك من الآثاريين من لا يقّر بهذا التأثير إلى اليوم، معتبراً أن المركز الحضاري الذي ظهر في حضارة إنكا، منفصلاً عن تأثير الحضارات التي ظهرت في الشرق الأدنى القديم، رغم قناعتهم بهذه التجربة. ولكن قد يقول قائلاً ما علاقة هذه التجارب بإنسان ثقافة ألدوان بوجه عام، الذي يبعد عن نهاية ما قبل التاريخ وبداية المرحلة التاريخية المبكرة بأكثر من مليوني سنة، والجواب على ذلك هو: أنه إذا كانت هناك جوانب كثيرة من حياة إنسان عصر الكتابة، ما تزال مستعصية عن الحل عند الآثاريين، فكيف بتفاصيل حياة الإنسان في العصور الحجرية، الذي من المحتمل أن يكون قد استخدم أطوافاً أكثر بدائية؟

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

المعمري عبدالرزاق راشد ٢٠٠٠، «ثقافتان من العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية»، **أدوماتو**، ع١، الرياض، ص٧- ٢٩.

المَعْمَري عبدالرزاق أحمد راشد ٢٠١٢، «أدوات صيد غير تقليدية من عصور ما قبل التاريخ في الجزيرة العربية: دراسة أثرية تجريبية أثنوأثرية». **مجلة التاريخ والآثار الأردنية**، المجلد٦، ع ٣، عمان، ص١٣٩- ١٧٤.

المعمري، عبدالرزاق راشد ٢٠٠٣، «إضافات جديدة في تقسيم العصر الحجري الحديث في صحراء الجزيرة العربية»، **أدوماتو**، ع٥، الرياض، ص ٢٣-٤٤.

المعمري عبدالرزاق ٢٠٠٤أ، البعثة الأثرية اليمنية الأولى لدراسة جزيرة سقطرى: الطموح والمعوّقات. **صحيفة الثقافية**، ع٢٢٣.

المعمري عبدالرزاق ٢٠٠٤ب، البعثة الأثرية اليمنية الأولى لدراسة سقطرى: ولكن القائم أراد النتائج هكذا، **صحيفة ٢٦سبتمبر**، ع ١١٢٥.

ثانياً: المراجع غير العربية

Agustí J. Anton M., 2002. **Mammoths, Sabertooths, and Hominids: 65 Million Years of Mammalian Evolution in Europe**. Colombia University.

Amirkhanov H. A., 1991. **Paleolithic of Southern Arabia**. Moscow, Nauka.

Amirkhanov H.A., 2006. **Stone Age of Southern Arabia**. Moscow.(In Russian).

Amirkhanov H. A., Zhukov V. A., Naumkin V. V., Sedov V. A., 2009. "Oldowan Period discovered in Soqotra". **Journal Priroda**, Moscow, №. 7: 68- 74.(In Russian).

Amirkhanov H.A., 2009. "Otkritie endostrii Aldowna vi Socotra". (Discovery of Oldowan Industry in Soqotra). In: Davuov, O. M.; Shunkov, M. V. (**Symposium of The earliest Human Migration Eurasia**.6 - 12 September, Makhachkala. (in Russian).

Andrefsky W., 1994. "Raw-Material Availability and the

Organization of Technology". **Antiquity**, Vol. 59, No. 1: 21-34. Lerner H., Xiangdong Du,

Apel M., and Brandis D., 2000. "A new species of freshwater crab (Crustacea: Brachyura: Potamidae) from Soqotra Island and description of Soqotrapotamon n. gen". **Fauna of Arabia**,vol. 18: 133-144.

Beydun Z.R., Bichon H.R., 1970. Geology of Soqotra Island, Gulf of Aden // Quat. K. **Geological Society**. L., V. 125. №. 3. №499.

Bonatti E. , Cipriani A., and Lupi L. 2015. The Red sea: Birth of an Ocean. In the Book: **The Red Sea: The Formation, Morphology, Oceanography and Environment of a young Ocean Basin.** Springer, Berlin. Edited by Rasul Najeeb M. A., Stewart Ian C. F.: 29- 44.

Bramwell D., Caujapé-Castells J.,(Editors), 2011. **The Biology of Island Floras**. **Cambridge University Press**.

Braun David R., 2008. Introduction: Current Issues in Oldowan Research. In: **Interdisciplinary Approaches to the Oldowan**. Springer.1- 14.

Brown G. and Mies B. A., 2012. **Vegetation Ecology of Soqotra**. London, Springer.

Cheung C., DeVantier L., 2006. **Soqotra: A Natural History of the Islands and Their People. (Scf)**.

Clark G., 1970. **Aspects of Prehistory**. University of California Press, Berkeley.

Costopoulos A., Ostoja-Starzewski M., 2007. " Lithic raw material physical properties and use-wear accrual". **Journal of Archaeological Science**, 34:711-722.

Culek M., 2013. " Geological and Morphological Evaluation of The Soqotra Archipelago (Yemen) from the Biogeographical view", **Journal of Landscape Ecology** (2013), Vol.: 6 / №. 3.: 84- 108.

Cumberlidge N., and Wranikj W., 2002. "A new genus and new species of freshwater crab (Potamoidea, Potamidae) from Soqotra Island, Yemen". **Journal of Natural History** , 36, 51- 64.

Ferring R. , Oms O. ,Agusti J. ,Berna F. ,Nioradze M. ,Shelia T. ,Tappen M. ,Vekua A. ,Zhvania D. , and Lordkipanidze D.,2011. "Earliest human occupations at Dmanisi (Georgian Caucasus) dated to 1.85–1.78 Ma". **Proceedings of the National Academy of Sciences of the United States of America**, Vol. 108, No. 26: 10432-10436.

Flemming K., Johnson P.,nZwartz D., Yoloyama Y., Lambeck K., Chappell J., 1998. "Refining the eusatatic sea-level curve since the Last Glacial Maximum using far and intermediate field sites". **Earth and Planetary Science letters**,163: 327-342.

Girdler R. W. & Styles P.,1978: "Seafloor spreading in the western Gulf of Aden". **Nature**, 271: 615–617.

Hall R., 2012. "Late Jurassic–Cenozoic reconstructions of the Indonesian region and the Indian Ocean". **Tectonophysics,** Vol.570- 571:1- 41. And you can see: **http://global.britannica.com/place/Indian-Ocean**

Heyerdahl T.,1948. **Kon-Tiki: Across the Pacific in a Raft**. U. S. A. Copyright 1948, 1950, 1963, 1973.

Heyerdahl T., 1979. **Early Man and the Ocean: A Search for the Beginnings of Navigation and Seaborne Civilizations**. New York: Doubleday.

James, Steven R., 1989. "Hominid Use of Fire in the Lower and Middle Pleistocene: A Review of the Evidence". **Current Anthropology** ,University of Chicago Press, №.30 (1): 1–26.

Kem T. S., 2005. **The Origin and Evolution of Mammals**. Oxford University.

Leakey M.,1971. Olduvai Gorge. Vol. 3. **Excavation in Bed Iand II**, 1960- 1963. Cambridge University. London.

Lukashov A., 2008. "Nature of Soqotri and Abdulkaori". In: **Book of Naumkin V., V., Soqotrian**. Moscow. (In Russian).

McKenzie, DP, Davies D, and Molnar P. 1970. "Plate Tectonics of the Red Sea and East Africa". **Nature**, 226: 243–248.

Mies and Zimmer, 1993. "Die Vegetation der Insel Sokotra im Indischen Ozean", **Natur und Museum**, 123(9). 253-264.

Mies B. A.,1998. "The phytogeography of Soqotra: evidence for disjunctive taxa, especially with Macaronesia". In: **Proceedings of the first International**

Symposium on Soqotra Lsland: Present and Future, Aden, March 1996. Conservation and Sustainable Use of Biodiversity of Soqotra Archipelago, Techn. Ser., Vol. 1. Dumont, H. (ed.): 83-105. United Nations Publications, Global Environmental Facility (GEF).

Miller A.D., 1996. "Saving the spectacular flora of Soqotra". **Plant Talk**. 7: 19-22.

Miller A.G., Morris M., 2004**. Etnoflora of the Soqotra Archipelago**, Edinburg.

Naumkin V. V., 1993. **Island of the Phoenix**, London. Ithaca Press.

Naumkin V. V.,1988. **Soqotrian**, Moscow. (In Russian).

Naumkin V. V., 2008. **Soqotrian**, Moscow. (In Russian).

Panger M.A., Brooks A., Richmond B.G., Wood B., 2002. "Older than the Oldowan? Rethinking the emergence of homin tool use". **Evolutionary Anthropology**, 11, 235-245.

Parr P.J.,Zarins J., Muhammad Ibrahim, Waechter J.,Garrard P.,Clark Ch.,Bidmead M., Hamad al-Badr, 1978. "Preliminary Report on the Second Phase of the Northern Province Survey". **Atlal**, vol.2, p.29-49.

Powers R. W, Ramirez L. F., Redmond C. D., and Elberg Jr. E., L. 1985, **Geology of the Arabian Peninsula Sedimentary Geology of Saudi Arabia**, Second printing 1985. U.S.A.

Rashed A.A., 1993a. **Nieolit Yujnoi Aravii (tekhiko-tipologicheskii analiz kamennogo inventarya).** Dissertatsiya na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk. Sankt-Petersburg. (Unpulbished Ph.D. dissertation. University of Sankt-Petersburg),(in Russian).

Rashed A. A., 1993b. "On the patinization of the Neolithic tools from the South Arabia (the materials of al-Abr region)". **Russian Archaeology**, Vol. 2: 24- 33.

Rashed A. A., 1993c. Nieolit Yujnoi Aravii (tekhiko-tipologicheskii analiz kamennogo inventarya). **Aftoreferat dissertatsii na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk**, Sankt-Petersburg. (Abstract of Ph.D. dissertation. University of Sankt-Petersburg),(in Russian).

Rasul Najeeb M. A., Stewart Ian C. F., 2015. «Interaction to red sea: Its Origin, Structure, and Environment».: In the Book: **The Red Sea: The Formation, Morphology, Oceanography and Environment of a young Ocean Basin**. Springer, Berlin. Edited by Rasul Najeeb M. A., Stewart Ian C. F.: 1- 28.

Rincon Paul, 2004. "Early human fire skills revealed". **BBC News** (April 29, 2004).Retrieved 2006-11- 15. Checked 12 November 2007.

Schlich R., 1982. "The Indian ocean: Aseismic ridges, Spreading centers, and oceanic basins". In the book: **The Ocean Basins and Margins**: The Indian Ocean. (Editors)

Sedov A. V., 2008.» Archaeological sites». In: Book of Naumkin V., V., **Soqotrian**. Moscow.(In Russian).

Sedov A. V., Naumkin V. V., Vinogradov Yu. A., Zhukov V. A., Vinogradova E. M., Kurkina E. A., Sarabjev A. V., 2009. **Preliminary Report of the Russian Interdisciplinary Mission to the Republic of Yemen submitted to the General Organisation of Antiquities and Museums** (G.O.A.M.). also you can see: **http://old.ivran.ru/attachments/075_Report2009.doc.pdf**

Semaw S., 2000. " The World's Oldest Stone Artefacts from Gona, Ethiopia: Their Implications for Understanding Stone Technology and Patterns of Human Evolution Between 2·6–1·5 Million Years Ago". **Journal of Archaeological Science**, Vol. 27: 1197–1214.

Semaw S., Rogers M., South Dietrich, 2009. "The Oldowan-Acheulian Transition: Is there a "Developed Oldowan" Artifact Tradition?". In: **Sourcebook of Palaeolithic transition: Methods, Theories, and Interpretations**. (eds) Camps M., Chauhan P. Springer, USA: 173 - 193.

Svemoch A. A., 1982. **Islands of western of Indian Ocean**. (Edited) Nikiforov L., G. Moscow. (In Russian).

Torre de la I., McHenry L., Njau J, and Pante M., 2012. "The Origins of the Acheulean at Olduvai Gorge (Tanzania): A New Paleoanthropological Project in East Africa". **Archaeology International**, No. 15, 2011-2012: 89-98.

Van Damme Kay & Banfield Lisa, 2013. "Past and

present human impacts on the biodiversity of Soqotra Island (Yemen): implications for future conservation". In: **Biodiversity Conservation in the Arabian Peninsula Zoology in the Middle East, Supplementum** 3, 2011: 31–88. ISSN 0939-7140 , Kasparek Verlag, Heidelberg.

Villmoare B., Kimbel W. H., Seyoum C., Campisano C. J., Dimaggio E. N., Rowan J., Braun D. R., Arrowsmith J. R., Reed K. E., 2015. "Early Homo at 2.8 Ma from Ledi-Geraru, Afar, Ethiopia". **Science**, Vol., 347 №. 6228 :1352-1355.

Walwer Gregory 1995. "preliminary evidences for plio-pleistocene migration from africa through southwestern Arabia".In: Whalen N. M, Fritz G. A. 2004. "The Oldowan in Arabia". **Adumatu**, №. 9:7–18.Pp:8.

Whalen N., Ali Siraj J., Sindi h., and Pease D., 1986."A lower Pleistocene Site Near Shuwayuhitiyah in Northern Saudi Arabia". **Atla**l, Vol. 10: 94 -101.

Whalen N, Siraj-Ali J, Sindi H, Pease D, Badein M.,1988. "A complex of sites in the Jeddah-Wadi Fatima Area". **Atlal**,11: 77–87.

Whalen.N., Schatte K., 1997. "Pleistocene sites in southern Yemen". **Arabian Archaeology and Epigraphy**.8:1–10.

Whalen N. M., Zoboroski M., Schubert K., 2002. "The Lower Palaeolithic in Southwestern Oman**". Adumatu**, №. 5: 27 –33.

Whalen N., 2003. "Lower Palaeolithic Sites in the Huqf area of Central Oman". The **Journal of Oman Studies**, №.13:175–82.

Whalen N. M, Fritz G. A. 2004. "The Oldowan in Arabia". **Adumatu**, №. 9:7–18.

William P. L., Rocha L. A., 2014. "Shifting seas: the impacts of Pleistocene sea-level fluctuations on the evolution of tropical marine taxa".Journal of Biogeography, 42 / 1: 25- 38.

Zarins J., Abd Al-Jawad Murad, Khalid S. Al-Yish, 1981. "The second Preliminary. report on the south-western province". **Atlal**, Vol. 5: 9- 42.

Zhukov Valery A., 2010. Stone Age Research Socotra. Expedition 2010. **Report of the Russian Interdisciplinary Mission to the Republic of Yemen submitted to the General Organisation of Antiquities and Museums** (G.O.A.M.), (Institute of Oriental Studies). (in Russian). also you can see: **http://www.ivran.ru/issledovaniya-kamennogo-veka-sokotry**

Zhukov Valery A., 2014. **The Results of Research of the Stone Age Sites in the Island of Socotra (Yemen) in 2008-2012**. Moscow: Triada Ltd., pps 114, ill. 134 (in Russian). Also you can see: **ISBN 978-5-89282-591-7**:195